رواية

الزنديق و المُدْخَلي

تأليفٌ من عندِ محمدِ سُكينة

جمادى الآخرة 1445 هجرية

رواية

الزنديق و المدخلي

تأليفٌ من عندِ محمدِ سُكَيْنَة.

جمادي الآخرة 1445 هـ

الفصل الأول

ـ مدخل إلى قذارتكم ـ

لا تطبق الكآبة على المرء إلا ليلا و هو يبصر نحو سقف غرفته أو ... سقف زنزانته كحال صاحبنا الذي نروي ما جرى منه و عليه و به.

لم ينم و إن نام أهل الزنزانة, أحاطت به ظلمة الزنزانة و اتقد في صدره جمر الاكتئاب, " الذكريات ثقيلة و تسوء القلبَ و الواقع أثقل.. آه".

ثم أصاخ السمع, " من ؟ ", إنه النزيب المعتاد لإسماعيل الدنجوان نائب زعيم المليشيا و غلام جديد من المليشيا وراء نافذة الزنزانة الصغيرة الضيقة, استوى صاحبنا قائما مقتربا من النافذة ليسمع أكثر.

(الغلام و الجارية في اللغة العربية الفصحى هما المراهق و المراهقة في لغة الغوغاء و الهمج و مثقفي الفول المدمس, و النزيب صوت المتناكحين حين النكاح.)

صوت الغلام متأوهًا و هو يقول:

ـ حار.

فقال له إسماعيل الدنجوان:

ـ نعم, حار مثل الفلفل و المسير لكنك ستعتاده.

سكون إلا صوت نزيبهما قطعته فجأة أغنية نوردو " يا دنيا ", أدرك صاحبنا حينها أن الدنجوان يمارس فاحشة قوم لوط أمام رهط من غلمان و فتيان المليشيا.

و حركت الأغنية مشاعر الدنجوان فسرّع من الإيلاج و وتيرة اعتلائه للغلام, ثم سُمِعَ صوت اقتراب أقدام دخلت على المكان.

قال صوت مرتجف:

ـ يا حاج إسماعيل...

دوت صفعة على القفا, و صوت غلامٌ مليشياوي يقول:

ـ اخرس حتى يكلمك الحاج يا ابن راضعة الأيور.

تأوه إسماعيل الدنجوان و هو يُمْني داخل دبر الغلام المليشياوي ثم سُمِع صوت صفعة على دبر الغلام المليشياوي و إسماعيل يقول:

ـ أحسنت (للغلام)... أهلا بك يا حاج أبا بكر (للرجل المصفوع على قفاه).

قال أبو بكر ابن شاشية بصوت يقطر خضوعا و خوفا:

ـ كل ما وصلك عني كذب يا حاج و ...

تجاهله الدنجوان قائلا للغلام:

ـ أحسنت يا بني, أي واحد من أصحابك يريد شيئا و خاصة من صبيان الابتدائي و غلمان الإعدادي فليأت إلى سيده إسماعيل هنا و ليرقد على بطنه و لينضم لصقورنا و كل طلباته بعد ذلك مجابة, الخير كثير .. عقود المؤسسة الوطنية للنفط كلها في جيبنا, و محافظ مصرف ليبيا المركزي صاحبنا و هو من عشاق الفنقورة أيضا و لياقته رغم كبر سنه تعجبك و قد نرسلك إليه .. ماذا يريد جيلكم أكثر من الأيفونات و السامسونجات و البنات و الخمور و السجائر و الترامادول و السلاح.. لكن ائت بالحلوين مثلك, فلا أريد نسل عبسي صاحب عدنان و لينا أمامي.

حلَّ صمتٌ و صوت سراويل تُلبس.

ثم قال الدنجوان:

ـ أليس كذلك يا ابن شاشية؟

ثم أردف:

ـ يا ابن شاشية , أنتم عائلة كبيرة و متسمية, و كنتم من أغنى عائلات ليبيا في عهد المملكة بفضل تلحيس جدكم لليهود و الطليان حتى نتف ريشَكم معمر, و مالُ جدكم اختلط بالبحر المالح كثرة, ألم أقل لك أنْ جهز ملفات عقاراتكم لكي نستعيدها لكم بالقانون و كل شيء مضمون.. القضاء معنا و هو صاحبنا, و أحكام المحاكم مضمونة لنا , و الدولة دولتنا و الصقور أولاد طرابلس الذين ردوا العادي العسكري جنودنا و ها أنت ترى بعينيك مبلغ سلطاننا عليهم.

صمتٌ ..ثم صوت كلب يطارد قطة يقترب و نباحه يعلو بجوار سور معسكر المليشيا و القطة تصرخ و تحاول خدشه و في السماء يطير عصفور بنفجسي رغم الليل.

صوت أبي بكر ابن شاشية يقول:

ـ العائلة رفضت لأن النسبة التي طلبتها كبيرة.

صراخ القطة:

ـ مياوووو.

ثم الكلب يهر و ينبح بشراسة:

ـ هاووو هاوووو.

صوت إسماعيل ناهرا أبا بكر:

ـ يا أولادَ الطليانية الزانية بالعة الكُمُر , طلبنا نصف قيمة أي عقار بعد بيعه, و عقاراتكم قد تبلغ أربعة مليارات دينار قيمة, ألا يكفيكم يا فروخ العواهر مليارا دينار و الدولار اليوم بخمسة دنانير أي أنكم ستخرجون من ليبيا بأربعمائة مليون دولار ضمنّاها لكم؟ هل تريدون الاستكبار في الأرض يا فروخ النجاسة؟

يستمر صوت الكلب في النباح بينا اختفى صوت القطة.

صوت إسماعيل:

ـ أما من شخص يخرس هذا الكلب النابح؟

و تصاعد قلق صاحبنا فمرت خاطرة في باله " هل سينكشف أمرنا بسبب الكلب و القطة؟ ... أَدَخَلَتِ القطةُ في الحفرة؟", و مرت صورتا توم و جيري في باله بسرعة.

حاول أبو بكر أن يتكلم إلا أن الدنجوان نهره بنفاد صبر قائلا:

ـ اخرس يا دابة, خلاص, انصرف, كلبان في حضرة أذنيَّ كثيرٌ عليَّ , جهز الملفات كلها ثم تعال و إذا لم تفعل فسوف نوَرّم فنقورتك بأيورنا ثم نقطعك إلى أجزاء و نرميها للكلاب التي تسمع أحدها ينبح الآن خلف سور المعسكر, و أعطني اسم أي رافض من العائلة كي نفلفل فنقورته بجراب الكلاشنات.

و سرعان ما انصرفوا جميعا ثم ساد الصمت مع ابتعاد الكلب بعد ربع ساعة.

و بات صاحبنا و الليلَ.

ـ 1 ـ

تداعت الخواطر و الأفكار في باله " الإنتلجنتسيا ... هل أنا من هذه النخبة التي انتخبتها الطبيعة؟ ...العلمانية .. الإسلام .. متى ينتهي هذا الصراع بين العلمانية و الإسلام؟ و هو صراع طال بأكثر مما يلزم و مما نحتمل, ألم يحترق في لظاه مئات الألوف إن لم يكن الملايين منذ مقتل حسن البنا؟ ... متى نتخلص من هذه الوساخة التي حالت بيننا و بين اللحاق بركب الحداثة في الغرب؟ ".

ثم مرت سريعا في مخيلته أيامُه الخالية في السبعينات حين كان ملءَ البصر و السمع في الجامعة, توقع الجميع أن يصبح هيكل ليبيا فإذا به اليوم في قاع المستنقع, لَمْ يعرف لِمَ؟ فجأة انهار عالمه حين استيقظ ذات ليلة ليرى عيونا من

اللجان الثورية فوق رأسه, تحملق , لم ينس زوجًا من تلك العيون, كانتا تحدقان نحوه بمعنى, و لم ينس بياضهما المرعب حتى اللحظة, رأى معنى البغض فيهما, " هل قتلت أباك يا ابن الزانية كي تزفر عيناك كل ذاك البغض على وجهي؟ و مَنْ أنت و لمَ تبغضني و أنا لا أعرفك إلا لمحًا في الكلية؟ .. آهٍ .. ضاع مستقبلي في غمضة عين", ثم أُقتيدَ كأضحية العيد من فراشه إلى السجن و النعاس لم يزل غير مفارقٍ عينيه, " هل كنت ضحية وشاية أم ضحية عبث الأقدار؟".

" أي أقدار هذه التي عبثت بي؟ لا قدر و إنما هو خبط عشواء و توحش الطبيعة يفعلان فعلهما في مصائرنا.. إنما تخيرتني العقاب العشواء لتضربني بمخالبها "

بعضُ زملائه أكملوا المشوار فصاروا فوق السحاب, و مِنْهم مَنْ كان يُعَدُّ في " حمير الفصل" كما كانوا يسمونهم , و هؤلاء " الحمير" صاروا اليوم قضاة و قانونيين و مهندسين و صحفيين يديرون الدوائر الحكومية في ليبيا, " حمير يديرون دولة ليبيا .. دولة الحمير .. إنها المهزلة بقولة يوسف وهبي .. أنا المثقف الذي لا أُبارى, هنا في سجون العصابات المليشياوية الإجرامية, و هم الذين كنتُ أسمع نهيقهم خلفي صاروا في قمة الهرم و ها أنا أسمع نزيبهم من وراء البحر حين يضاجعون بنات أوروبا .." , و مرَّ وجهٌ لطيفٌ من أيام الجامعة أعقب في قلبه أثرًا باهتا من حزن و غيظ, " أين أنتِ يا ترى؟ و في حضن أي حمار منهم تنامين الآن يا نجلاء؟", تذكر قبلات طبعها بخجل على ذاك الوجه اللطيف في

ظلمات مدرجات الكلية, تذكر القوام الممشوق السيفان و الشعر السبط الناعم و البشرة البيضاء, و تذكر شفتين كثمرة الشماري و أنفا كالسيف, تمنى لو طمث فرجها و شبع منها و سقاها بمنيّه و أولج أيره في فمها لكي يكون له سبق السقاء على من أتى من بعده, " أكنت خجولا يا ابن الزانية.. يا كتكوت ..اللعنة عليك و على خجلك..فاتني كل هذا في أيام البقبقة و البربرة بالمبادئ و المثل و القيم العليا و الأخلاق و الإنسانية.. آهٍ من أيام الكتكتة و الطقس الملبد بسحب حنان ... لم تكن تلك الكلمات الجوفاء الميتة في حقيقتها سوى الأفيون الحقيقي الذي فوَّتَ علينا متعًا و فرصًا لا تعوض".

اتقد الغيظ في صدره, " يكذبُ مَنْ قال أن الدين أفيون الشعوب.. الأخلاق الطيبة هي الأفيون الحقيقي للشعوب".

كان اشتراكيًا بعد أن فطمه الفقر على بغض الرأسمالية ثم صار إلى برزخٍ يقع بعد الاشتراكية و الرأسمالية , و الآن تجاوز هذا البرزخ و لكن ليس إلى كتاب القذافي الأخضر أو الطريق الثالث الذي روج له بيل كلينتون و توني بلير.

كل هؤلاء لا يمثلون شيئا بجانب فكره و ما وصل إليه حول حقيقة الحياة, لقد فاقهم كلهم, تجاوز الجميع إلى شيء آخر.

" لقد قطفت التفاحة الحقيقية من شجرة الخلد يا آدم و نلت شعلة النار يا برُميثيوس".

خلّده معمر القذافي في سجونه لسنين في عشرية الجمر (الثمانينات) ثم خرج بشفاعة الشافعين, و لكن عقيدته ظلت كما هي, ألا إنها الزندقة (أو الإلحاد كما يعرفه عامة الناس (atheism), و الزنديق (atheist) هو الذي لا يُصَدِّقُ بوجود الله و لا اليوم الآخر و يقول أن كل شيء خُلِقَ من غير شيء), إذ صار بعد القبض عليه منذ بداية الثمانينات زنديقًا يرفض فكرة وجود الله تماما.

ثم تطور أمره إلى أكثر من هذا الرفض خلال "عشرية مزيل البطشة "كما سماها بعض شباب الألفين و هم يعنون سيف القذافي بلقب مزيل البطشة لأنهم رأوا أن رأسه الأصلع يشبه مزيل العرق كروي الرأس, بينما سماه آخرون "سيف الأوهام".

كان يومئذ في الألفينات حبيس بيته و روتينه اليومي البسيط, لا يخالط أحدا من الناس, اعتزل الحياة و الناس بإرادته من يوم خروجه من سجن القذافي حتى الربيع العربي و فبراير التي أتت على الأخضر و اليابس في ليبيا المظللة بسحب الحزن و الظلم و الفقر و القهر منذ أن اختلقتها إيطاليا سنة 1352 هجرية.

اسمه سليمان الكبير, وسيم الملامح ممتلئ الجسد مائل نحو البدانة و قصر القامة إلا أن السجن هذه المرة أنحفه فصار رشيقا كأيام شبابه في السبعينات, يبلغ من

العمر 66 سنة و طالت لحيته الشائبة حتى بلغت سبعة و عشرين سنتيمترا طولا و أما كينونتها عرضًا فقد افترشت صدره فصار يشبه القزم نؤوما (Sleepy) في فيلم بياض الثلج و الأقزام السبعة (Snow White and the seven dwarfs) الذي أنتجته ديزني سنة 1355 هجرية حين كان الوطن العربي تحت صيطرة الاستعمار الغربي.

و في سجنه الأخير هذا تقمص السلفية أمام زملاء الزنزانة لينجو من بطشهم و يكسب ثقتهم و يُكَذِّب المليشيات التي أتت به إثر وشاية أحد البصاصين إذ سمع البصاص مصادفة أنَّ سليمانَ شيوعيٌّ قديمٌ فبلَّغَ الخبر إلى أسياده و من دون تثبت و لا جرم مفعول منه و كعادة فعل المليشيات قُبض عليه ثم رُمِيَ من دون تحقيق في السجن و لم يسأله أحدٌ عن شيء منذ وضعه في الزنزانة عدا أسئلة المليشيات و شتائمهم أثناء حفلة التعذيب في الأيام الأولى بعد القبض عليه.

ألقى ببصره نحو نافذة الزنزانة الصغيرة الضيقة, كانت النجوم تلمع في السماء, تنطق بلغة الضوء التي لا تتغير و لا تتقن سواها منذ الأزل , و هي لغة فقيرة ميتة عندنا, غنية ثرية عند ليوناردو الفنتشيّ و أضرابه, فمن منا يهتم بالضوء في حياته اليومية أو يكلف نفسه عناء التفكر فيه؟ بينا مرج ليوناردو أسئلة و إجابات في ملاحظاته عن الضوء و الظل و العلاقة بينهما لإنتاج المعنى في الرسم.

و لا صوت في هذه الليلة بعد ما حدث سوى نباح كلاب تقترب و تبتعد عن شاطِئَيْ وادي المجانين و صوت الكلب الذي كان يطارد القطة, إذ ظل يقترب و يبتعد عن سور المعسكر حتى أقلقه.

ثم التفت سليمان مبصرا نحو زملائه النيام في الزنزانة الصغيرة التي ابتلعتهم على دفعات منذ ثمان سنوات تقريبًا.

كانت مساحة الزنزانة اثني عشر مترا مربعا تقريبا, مظلمة, تكومت بداخلها أجساد المسجونين, و قد فاحت منهم رائحة الصنان بينما كانت تفوح من مكان الغائط في ركن الزنزانة الأيمن رائحةُ الخراء و البول و لم يكن الغائط سوى حفرة في أرض الزنزانة بلا ساتر, فكان أحدهم يخرأ أو يبول أمام الآخرين و عورته مكشوفة بعد أن جفَّ ماءُ الحياء بينهم بمر الأيام و لم يخلف جدب الحياء إلا اكتئابا شديدا في قلوبهم.

أحيانا كانوا يضحكون حين يضرط أحدهم أثناء الخراء و لكن الضحك يختفي بسرعة حين يلمحون الغضب في عينيه, و أحيانا كانت تنشب مشاجرة بسبب هذا الضحك و ربما تتكلم القبضات و الأرجل حينها و كان زميلهم الخُمْسي هو الذي يفصل بين المتشاجرين, و كان الخمسي أرزنهم و أكثرهم صمتا و لم يكن يشاركهم الضحك و لا التبسم و قد قلّ حديثه بينهم.

كانت هذه هي الليالي الحاسمة لكل هؤلاء المسجونين بعد أن تقرر أن تكون هي موعد هروبهم الذي بَدَأَ التخطيط له من قبلهم المقدادُ النائمُ عند موضع قدمي سليمان بجانب الحائط إلا أن الهروب تأجل حين فوجئوا في صباح أحد الأيام بوجود تاسع لهم يبدو أنه أُدخل الزنزانة حين كانوا نيامًا.

" أخيرا سأخرج من هذا الجحيم بعد خمس سنين... تسع سنوات في سجون الملعون كلب الجحيم القذافي و خمس في سجون فبراير اللعينة... أربعة عشر عاما من دون جرم.. ما الذي يجري في الدنيا؟.. الله أم داروين.. داروين يفوز... لكني سأخرج أخيرا رغم أنف فروخ الحرام هؤلاء", كل الشكر للمقداد الذي وجدوه مخلدا في الزنزانة منذ ثمان سنين, فهو الذي بدأ عملية الحفر حيث ينام الآن.

و المقداد شاب في الثامنة و العشرين من عمره, متوسط الطول قوي الجسد مفتول عضلات العضدين, طال شعره فهو إلى كتفيه و طالت لحيته فهي إلى صدره, لا تنجذب إلا لقميصه الأبيض حين تبصر به, آذته الإصابة بالجرب و القمل, يحفظ القرآن كاملا منذ صغره إلا أن أكثره تبخر مع سني السجن و عذابه و لم يبق في صدره سوى " قد سمع حتى و الناس", كان طالبا متفوقا في سنوات الهندسة الأولى ثم دُمِّرَ مستقبله بعد القبض عليه و لم يعرف أهله عنه أي معلومة منذ ذلك الحين, اختفى فجأة تاركا وراءه نارا تحرق أسرته.

فجأة ارتفع صوت صراخ عظيم فانتفض كل من في الزنزانة رعبًا, حتى الجرذان و الفئران و الصراصير و الخراطين في حفرة الخراء فرت في تجاويف الأرض فزعا و فرقا, و ابتعد الكلب عن المعسكر بسببه, ثم بدأ صوت البكاء و الاستعطاف لتقابله ردود وحشية فاحشة, هي حفلة التعذيب التي تحدث ثلاث مرات شهريا على الأقل في مقر مليشيا سوق الثلاثاء أو مليشيا الحرباء نسبة لزعيمها الشاب القوي شديد النحافة الذي تنضح القسوة من قسمات وجهه الحليق, أو القوة الخاصة للتحري و مكافحة الأفكار الهدّامة حسب اسمها الرسمي في دوائر الدولة الليبية بمباركة القضاء الليبي, و لا يعلم أحد ما هي هذه الأفكار الهدامة تحديدا, فكل فكر بليَّةٍ بسيطةٍ في كلماته و طريقة عرضه سيصنف إذا شِيئَ هدامًا أو بنّاءً.

كان الضرب بالأنابيب البلاستيكية و الصعق بالكهرباء و السلخ و البصق و الجلد و الصفع و اللكم و الركل و هتك الأعراض بالعصي و حرق الأدبار بالأفران الكهربائية و الحرق بالأسياخ و التعليق من السقف و الكلام الفاحش هي الأشياء التي يستمتع بها شباب و غلمان هذه المليشيا (و كل المليشيات), هذه المليشيا " الشرعية بقوة القانون الليبي فهي تتبع وزارة العدل و المجلس الأعلى للقضاء في ليبيا" و يصنف أي مجرم فيها بكلمة " موظف عمومي".

و أما القتل مباشرة فكانت الهواية المفضلة لقائدها الحرباء في أيام اكتئابه, فقد كان يقتل ضحيته سيئة الحظ ضربا بيديه و رجليه و تقطيعا بالمناشير و السواطير ثم توضع أعضاء الضحية في حقيبة و ترمى في وادي المجانين لتأكلها الكلاب أو يجدها الناس بعد ذلك ثم تقيد القضية ضد مجهول و ما أكثر القاتلين المجهولين في ليبيا في أيام فبراير.

قام المقداد بجانب سليمان ثم همس له:

ـ ما رأيك بليلة الغد فلا يمكننا تأجيل الهروب لأسبوع آخر؟

قال سليمان هامسا:

ـ أكنت مستيقظا ؟ أوافقك خاصة مع وجود الكلب الذي ينبح على القطة التي دخلت الحفرة , (ثم و هو يشير إلى تاسعهم) و لكن ماذا عن صاحبنا الجديد؟

أجابه المقداد:

ـ سنخرجه وسطنا كرهًا و إذا حاول التلفظ بحرف واحد فسوف أذبحه فورًا.

ثم صمت قليلا و أردف:

ـ تخرج أنت أولا ثم أسامة إمحيسن ثم صاحبنا الجديد ثم بقية الزملاء ثم الخُمْسي ثم أنا.

كان الصراخ و البكاء مستمرين يختلطان بالاستعطاف و طلب الرأفة و لكن جلاوزة الحرباء و غلمانه لم يكفوا عما يفعلونه كأنما قدّت قلوبهم من حجر و كان بعضهم يصرخ ببشبشة:

ـ إيهٍ يا صقر.

كان صوت المُعَذَّبين بكل المقاييس مرعبا, و سمعوا بكاء مكتوما فاتضح أنه بكاء أسامة و كان أرقهم قلبًا و أسرعهم للإصابة بالاكتئاب في السجن فانطلق إليه المقداد و احتضنه ثم همس في أذنه قائلا:

ـ لا تبك يا أخي , اصبر, فإن غدا موعد خلاصنا بإذن الله.

و سكت قليلا ثم أردف هامسا في أذنه:

ـ سنواتك الست تنتهي غدا.

و لم يغمض لهم جفن حتى الفجر.

و فتحت كوة في باب الزنزانة حين اقتراب الضحى من دون أن يظهر منها سوى يد أحد السجانين ليرمي إليهم بخبز شامي مضرج بالدم و علبة من جبنة المثلثات صفراء الغلاف مرسوم عليه طفل يستنشق نسيم البحر و تفوح من الجبنة عفونة

الاعتمادات المالية و الأنانية و قسوة القلب و قنينات من مياه دجلة ثم أغلقت الكوة حتى موعد فتحها التالي.

و كان بعضهم قد نام, و قرر أكثرهم النوم حين الظهيرة استعدادا للهروب بعد مغيب الشمس مباشرة إذ كان اليوم هو الخميس من أيام محرم سنة 1445 هـ, و في كل خميس تكون متعة أفراد المليشيا بالحشيش و أصناف المخدرات و الخمر و المومسات و كل أنواع الفواحش التي نعرفها و التي لا نعرفها إذ يختص المجرمون بفواحش لا تخطر على بال أحد, فكانوا يقفلون أبواب الزنزانات بإحكام بعد أن يرموا للسجناء حين الظهيرة كميات من خبز و ماءٍ و جبن و حبٍّ من المكرونة تكفيهم حتى صباح السبت, و قد حدث هذا حين الظهيرة.

و هكذا مرت عليهم ساعات النهار بطيئة, فكانت حركة الشمس في السماء هي شغلهم الشاغل و كان خرير مياه المجاري المارة في وادي المجانين واضحا لهم لأول مرة منذ سنوات, كانوا ينتظرون اللون البنفسجي للغروب بفارغ الصبر.

و كلما اقترب الغروب و دلكت الشمس فتدلت أكثر نحو الأفق تسارع النبض في صدورهم, و ازداد القلق.

و حلّت ساعة الخلاص, حين كاد الأفق يلتقي بالشمس, فلم يطيقوا صبرا, اندفع الخمسي نحو الباب لينصت, " لا ابنَ عاهرة منهم قربنا" , ثم التفت إلى سليمان

و المقداد و أسامة لأن أربعتهم هم الأقدم في الزنزانة و هم مَنْ كان يحفر طوال هذه المدة و أما بقيتهم فكانوا حدثاء عهد بالسجن لا يتجاوز أحدهم السنتين و قال:

ـ الآن يا شباب.

فانطلق على إثر عبارته المقداد نحو تاسعهم (الجديد) و وضع سكينا صغيرا على عنقه ثم همس قائلا:

ـ سنهرب و ستهرب معنا فلا تصرخ و لا تفسد علينا أمرنا لأن حياتك ستنتهي هنا حينئذ.

و لا تسألوا عن كيفية وصول السكين إلى السجن, فكل شيء يصل عاجلا أو آجلا إلى السجناء بطرق شتى, و كل من ذاق مُرَّ السجون يعرف هذا , فحتى الأقلام و الأوراق وجدت سبيلها إلى سيد قطب لكي يكتب تحفته في ظلال القرآن في أيام سجنه.

بَصَرَ تاسعهم به ثم همس بابتسامة:

ـ و من يحب السجن؟ أنا معكم قلبا و قالبا.

تعجب المقداد من الابتسامة و سرعة الجواب فكأنما أعده مسبقا لكن نفض عنه التعجب و أي فكرة أخرى لأن الظرف كان حرجا و الاضطراب النفسي الذي حل عليهم رهبةً من الهروب كان عظيما.

بسرعة جرى سليمان و الخمسي نحو ركن الزنزانة الشمال ليزيحا التراب ثم قطعتي البلاط الاسمنتي من تحت التراب لتنكشف الحفرة ثم بدأ الزحف بداخلها إلى خارج معسكر المليشيا كله إذ كانت الحفرة تنتهي في صفحة الوادي و أمام مخرج النفق قامت بضع أشجار من الخروع.

خرجت القطة تجري أولا فقد ظلت في الحفرة خائفة من الكلب, فسليمان فأسامة فتاسعهم ثم بقيتهم, بينا كان قد تردد بدر و ظل يرتجف في مكانه فهمس له الخمسي:

ـ هيا يا بدر.

زاغ بصر بدر و انكسرت ملامح وجهه مسكنةً و قال بصوت مرتجف غشاه الخوف:

ـ لا أستطيع , لا أريد مشاكل مع الحكومة و القضاء و المليشيات و لا مشاكل مع أحد و لا أريد أن أظل مطاردا طوال حياتي, لا أريد أي مشكلة .. أريد أن أخرج بسلام, أرجوكم بالله عليكم اتركوني و ربي يوفقكم في حياتكم.

ثم التقط أنفاسه و قال منفعلا:

ـ لن أخرج و إن ذبحتماني.

اشتد نبض غمر الجوانح في صدريهما و أوجسا خيفة من أن يصرخ مناديا مجرمي المليشيا و هَمَّ المقداد بتهدئته إلا أن الخمسي دفعه جانبا قائلا:

ـ اذهب بسرعة و سألحقك الآن.

و فيما مضى المقداد, التفت الخمسي نحو بدر قائلا:

ـ هذا اختيارك يا بدر و لكنه اختيار خاطئ, ليبيا كلها اليوم غربا و شرقا و جنوبا في قبضة عصابات إجرامية لا رأفة و لا شفقة في قلوبها فلا تعول على القضاء و لا غيره كثيرا لأن القضاء نفسه فاسد و هو جزء من الفساد و الإجرام و الكفر بل هو أسه و هو الذي يضفي الشرعية على هؤلاء المجرمين.

ثم قال و هو يمسك بكتفه الشمال و يبصر نحو عينيه:

ـ و كل ما أطلبه منك ألا تفضحنا و تصرخ بعد خروجنا.. بالله عليك ... فقل لهم بأننا هربنا أثناء نومك.

أشار بدر برأسه موافقا و قال:

ـ اطمئن , أنا ضعيف لا علاقة لي بشيء و طوال عمري أمشي بجانب الحائط فلا أريد مشاكل منكم و لا منهم ثم إنكم أحسنتم إليَّ طوال سنتي سجني.

" لا علاقة لك, يا لحمقك لو كانوا يراعون المساكين أمثالك لما أتوا بك هنا و أنت لا تعرف حتى تهمتك" , ثم لحق بأصحابه في وادي المجانين.

ـ 2 ـ

قال سليمان و هو يراه يخرج من الحفرة:

ـ و بدر؟

أشار إليه الخمسي برأسه أن " لا" ثم قال:

ـ هيا بسرعة فلا أضمن شيئا الآن فربما يصرخ ليشي بنا لجنود الطواغيت.

و بدأوا الهرولة داخل الوادي تجاه البحر شمالا, و مشاعر الاستغراب و الدهشة تغمر سليمان و أسامة و المقداد و الخمسي, و معهم تاسعهم و نبيه الفلسطيني و هم الذين ظلوا معًا, و أما بقية السجناء فتفرقا كلٌّ في اتجاه و أحدهما صعد صفحة الوادي ليدخل إلى شوارع قرجي و من فرط ارتباكه صدمته سيارة في الشارع الغربي فمات من فوره.

و أما هم فلم يقفوا إلا بعد أن اجتازوا الوادي من تحت جسر قرجي و حولهم الكناسة على صفحتي الوادي و بعض أشجار الخروع و أحد المتشردين نائما تحت الجسر و من حول المتشرد بحار من النفط قيمتها بلايين الدولارات ثم رأوا الجسر القديم الذي يقابل أرض قاعة الشعب السابقة و بداخل الأرض سرير طبي عليه جثة فاسدة يحاول بعض الذين يدّعون الطبابة " إعادة الحياة إليها" و على رأس الميت لوحة تقول " هذا مشروع لإعادة الحياة إلى الأموات".

ثم أبصروا تحت الجسر و حوله بداخل الوادي و صفحتيه أدغالا من خروع و سرول و قصب و أعشابا كثيرة, و أسرابا من عصافير الدوري و الحشرات تطير بينها فاختفوا بداخل الأدغال, و كان سري من ماء المجاري يتدفق بخرير من أنبوب ضخم بجانبهم و هم في فزع و خوف.

و أنكروا أصوات السيارات و الناس التي تصل إليهم من الطريق و حديقة دوّار سوق الثلاثاء لطول مدة السجن, و طول غربتهم عن الدنيا بحيويتها, و روّعتهم الحياة و الفرشاة في يدها تلون الأفق بلون الغروب و ترسم طيورا و أزهارا, و طرّبَ خريرُ الماء قلوبهم, و إن كان الماء قادما من المجاري بجرذانها و قاذوراتها, فالماء هو الماء, هو صنو الخضرة و رحم الحيوة, و شعر بعضهم بالدوار من الانطلاقة و الحرية التي امتدت من حولهم نحو آخر الأرض حيث طوكيو بسكانها الأربعين مليونا حيث ينقهر الآباء كما ينقهرون عندنا بقانون الزواج و الطلاق و

الحضانة الإجرامي و حيث يندهش الخيال حين يقف مبصرا على شواطئ المحيط الهادئ ليكتشف اللون الأزرق في أبديته, فقد ولدوا من جديد و سجلتهم دفاتر الميلاد مرة أخرى, و اشتاق سليمان في تلك اللحظة لصباح شتوي بفنجان القهوة مع أهازيج فيروز.

فثلاثة في زماننا هذا لا ينفصلون, الصباح و فنجان القهوة و فيروز.

و فوق الجسر القديم و حوله على البساط العشبي الأخضر تناثر قليل من الناس, و مر كلبٌ على شاطئ الوادي فوق رؤوسهم و التقت عيناه بحضورهم و هم لا يعرفونه كما نعرفه, فهو كلبٌ عندهم و هو الكلبُ نابحُ القطةِ عندنا, فقلقوا من أن ينبح فيثير انتباه الناس إلا أنه مضى بخطوات متكاسلة ثم استلقى بعيدا عنهم.

و اختفى الشفق و حل الظلام.

قال الخمسي لأسامة بعد أن خفّ الروع:

ـ ألم تخبرني أن منزلكم في حي الأندلس؟

ـ نعم, و هذا ما كنت أفكر فيه, كنت سأذهب لأحضر ثيابا أخرى لكم لأن ملابس بعضنا الرثة ستثير انتباه الناس فور رؤيتها.

و طلب أسامة من نبيه الفلسطيني أن يتبادلا ملابسهما لأنه كان الأقرب حجما منه ثم ارتدى حذاءه أيضا رغم ضيقه الخفيف, و حفظ مقاسات ملابسهم و أحذيتهم ثم انطلق نحو بيت أسرته و شعور من الاستغراب و الإنكار يأبى أن يفارقه.

لبث أسامة في غيبته قرابة ثلاث ساعات ثم عاد مرتديا جينزا و قميصا قصير الأكمام أزرق اللون و حذاء أنيقا من الجلد, و جلب معه ألبسة و أحذية رياضية و قلنسوات بيسبول (جلبها بدفعات ذهابا و جيئة).

ـ هل اشتريتها؟

ـ نعم.

ـ من أين و بكم؟

ـ من محل أمام مصرف السراي في طريق قرجي, و أما ثمنها فمن العيب أن أخبرك به.

ـ و اللهِ أريد أن أعرف بدافع الفضول.

ـ 800 دينار تقريبا, ثمانون للباس و خمسة و ستون للحذاء و عشرون للقلنسوة.

لبسوا الملابس إلا تاسعهم فقد اعتذر و حينما سُئل عن سبب اعتذاره أجاب:

ـ ملابسي جيدة فأنا حديث عهد بكم.

ـ إلى أين نتجه الآن؟

قال المقداد:

ـ إلى قطعة أرض صغيرة لأسرتي في زنقة الزلمومية.

ـ الزلمومية؟

ابتسم لما رأى دهشتهم من الاسم إذ لم يعرفه سوى سليمان و تاسعهم.

قال سليمان مبتسما:

ـ هي سبيل ضيق جدا في المدينة القديمة لدى سوق الذهب.

ثم أردف:

ـ بعض الناس يقولون أن طرابلس هي عاصمة ليبيا و زنقة الزلمومية هي عاصمة طرابلس.

لبسوا الملابس و الأحذية, و حين هموا بالتحرك فوجئوا بأسامة يودعهم و التأثر بادٍ على وجهه فقال له المقداد:

ـ ألن تأتي معنا ؟ من الخطر أن تبقى في بيتكم فسوف يأتونك فور اكتشافهم أمر هروبنا.

ـ لا تحاول إقناعي بشيء, سأظل هذه الليلة مع والديّ ثم سأذهب إلى بيت أخي في الجرابة.

أدركوا أن أي محاولة لإقناعه ستكون عقيمة فعانقوه عناقا حارا ثم تحركوا إلا أنه استوقفهم و كان بيده كيس لم ينتبهوا إليه ثم قال:

ـ خذوا فسوف تحتاجون المال طالما ظللتم هاربين.

و أخرج منه مالا, فترددوا إلا أن نبيه الفلسطيني مد يده فكسر حاجز الخجل و التردد و اعتذر تاسعهم رغم إلحاح أسامة.

و فوجئوا بالخمسي يفارقهم أيضا إذ قال:

ـ قلبي غير مطمئن للبقاء في طرابلس لذا أعتذر عن ذهابي معكم.

ثم قال للمقداد:

ـ أنت تعرف كيفية الاتصال بي إذا أردتني, سلام عليكم.

و انصرف الخمسي, ثم قال أسامة:

ـ بيتنا في شارع أحمد إمعيتيق وراء جامع الميت و قاعة الشعب, لن أتأخر في بيت أخي, ستجدونني بعد شهرين في بيت أهلي مرة أخرى إذا أردتموني.

و وصف لهم موقع البيت بدقة ثم انصرف.

و هكذا لم يبق منهم مع سليمان سوى المقداد و تاسعهم و نبيه الفلسطيني.

قال تاسعهم:

ـ لا تقطعوا الطريق و لا حديقة دوار سوق الثلاثاء بل لنذهب عبر الجسر حتى نصل إلى عمارات أول عمر المختار.

ـ لم؟

ـ للمليشيات المجرمة دوريات تحت الجسر.. دوار سوق الثلاثاء تحت الجسر ملغم بكناسة المليشيات.

و صعدوا الجسر ماشين نحو المنصورة فوصلوا نهايته بعد عشر دقائق حيث رأوا لوحة قديمة بهتت ألوانها و بجانبها عمارات كثيرة هي عمارات أول شارع عمر المختار, و كان مكتوبٌ على اللوحة يقول :

ـ لا ترطيب أفضل من بانتين.

و رأوا عن شمالهم كتابة على حائط تقول :

ـ 17 , 7 , 2022.

و بجانبها رسم لغمر الجوانح, فقفزوا من الرصيف إلى ممر ضيق بين حائط الكتابة و حائط الرصيف, و قد امتلأ الممر بأعشاب يابسة و كناسة و كلسونات نسائية و سوائل منوية و أجنة ميتة و تلطخ بعض الحائط بدماء من حيض و أغشية بكارة, و امتلأ آخر الممر بآباء محرومين من أبنائهم بسبب قانون الحضانة الحقير و بسبب قضاة ليبيا الفاسدين الأحقر من قانونهم و كان الآباء المحرومون من أولادهم يبكون.

ثم رأوا قبرا صغيرا مرخما غاية في الأناقة كُتب على لوحه " الفضيلة" و حُفَّ القبر بورد من نوع الغَمْر النازف (Bleeding heart) و بجوار القبر كانت عظام إنسان قيل أنه كان حارس القبر و ساقي الورد فاستنبطنا أن الورد ميتٌ قريبا.

و انتهى الممر عند بقايا سور قديم يُقال أنه كان سور طرابلس أيام الإيطاليين الذين قتلوا نصف الليبيين و كانت دموع ضحايا الإجرام الإيطالي تنز من تحته فنبت بسببها عشب ذو ثمر شوكي مؤذٍ لعابري السبيل, و صادفتهم محلات قديمة أسفل العمارات يسكنها أفارقة ثم بضع شجيرات ورد في حديقة صغيرة و محل للحجامة و الرقية الشرعية ثم عبروا بين العمارات ليقطعوا شارع عمر المختار نحو الحديقة التي تُسمى بفضاء طرابلس الرياضي الترفيهي (أو منتزه طرابلس البلدي), و هي الحديقة التي يحلف برأسها كل أهل طرابلس لانعدام مرافق التسلية و الترفيه

في المدينة فلا سينما في طرابلس و لا متحف مفتوح و لا مسرح و لا مدينة ملاهٍ جيدة سوى خردة معرض طرابلس الدولي, فالموات الثقافي و الترفيهي و الفساد و وحشية المليشيات و تكاثرها هو ما يميز طرابلس لذا صارت مرتعا للاكتئاب و الخوف و القلق و العصبية و سرعة الغضب و خبث الأخلاق.

و رغم كل هذا ففي طرابلس ميزة, و هي المقاهي و المطاعم المشهورة بالجودة و المذاق الطيب, و هذا شيء يحسب لها, لذا تتكاثر المقاهي و المطاعم كما تتكاثر المليشيات في طرابلس و لن تجد شيئا آخر خلا هذين الشيئين.

و مروا تحت لوحة إعلانية لمكيف اسمه "Favoritt" و كانت هذه اللوحة تقول للمارة "عوّل على الصحراوي".

و دخلوا الفضاء الرياضي الترفيهي و القلق يتصاعد في قلوبهم من ضوء المصابيح و زحام النساء و الأطفال و الغلمان و الهجّالات و الوشوشة التي يسمعونها منهم, و أزعجتهم الضوضاء, و خَيَّلَ لهم خوفهم أشياء و أشياء حتى وصلوا إلى نهاية الحديقة الترفيهية فخرجوا من بابها متجهين نحو شارع الفرغاني.

(ملاحظة, كلمة الهجالات (و مفردها الهجّالة) كلمة عربية و تعني المرأة المطلقة و هي مشتقة من الجذر هجل , و الهوجل هي الأرض المضلة التي لا علامات فيها يهتدي بها الإنسان , فالهجّالة هي المرأة المطلقة الضالة المضلة.)

و على عكس الحديقة, كان شارع الفرغاني مظلما خاليا من المارة, فهدأت نفوسهم و اطمأنت لحلول الظلام حليفهم.

و رغما عنهما, فاض الدمع من عيني المقداد و سليمان, و أخفى الظلام انفعالات شتى طوتها الصدور و عبرت عنها ملامح الوجه لثلاثة منهم و هم سليمان و المقداد و نبيه الفلسطيني, و أما تاسعهم فلا شيء نزّ منه.

ثم وصلوا لدوار المعرض و عبروه إلى شارع المعري, و تجنبوا الناس قدر الممكن بجوار المحلات و السوق و مدينة الملاهي, و كانت دموع سليمان و المقداد تأبى المغادرة, و تقدموا حتى شارع ابن جزلة الذي انعطفوا بداخله ليقذفهم الظلام نحو شارع طارق ابن زياد خلف معرض طرابلس الدولي, و هنالك كان الشارع مظلما خاليا من البشر بعد أن أغلقت محلات جملة الملابس أبوابها منذ المغرب.

و جلسوا على الرصيف و قد غلفهم الصمت ثم قال المقداد:

ـ سأذهب لأهيئ الأمر لنا فابقوا هنا حتى عودتي.

و غاب عنهم لأكثر من ساعة ثم عاد ليقول لهم :

ـ هيا بنا.

إلا أنه توقف ثم التفت إلى تاسعهم مقتربا منه في تحدٍ قائلا:

ـ نحن لا نعرفك حتى الآن و لم يقع منك ما يجعلنا نثق بك.

صار وجهه لا يبعد عن وجه تاسعهم سوى أقل من باع تقريبا (و الباع يساوي سبعة عشر سنتميترا.. لنقل و لنتفق على أن الباع عشرون سنتميترا).

قال تاسعهم:

ـ و من أنتم حتى أخونك أو أخونهما؟ (و هو يشير إلى سليمان و نبيه) , كل تهمكم تافهة, بل هي ليست بتهم في حقيقتها, أنت تنتمي فكريا للتيار الجهادي و ربما صرت من تيار تكفير العاذر مثل الخمسي فقد عاشرته سنين عددا و لأن جماعة تكفير العاذر أقوى حجة و أتم بيانا منكم, وسليمان اتهموه بأنه ذو فكر شيوعي و نبيه تافه خطفوه طمعا في فدية و صنفوه حمساويا لابتزاز أهله على الرغم من أنه ليبي بحكم المولد و لم ير فلسطين و لا غزة في حياته, و بدر الذي خلفتموه وراءكم أتفه منكم فهو مخطوف لأنه نهر غلاما من غلمان الحرباء في الطريق بعد أن ضايقه بالسيارة, و ربما أسامة إمحيسن هو الوحيد الذي خُطِفَ لسبب فقد شاهد أحد زعماء المليشيات في وضع أخلاقي خاص و ظنوا أن خطفه سيستر ما بان و كان الأمر لا يستدعي خطفه لأن أسامة ما كان ليتكلم.

انذهل الثلاثة مما قال و قال سليمان:

ـ كيف علمت كل هذا؟

رد تاسعهم:

ـ هل هذا مهم؟ المهم أن تهمكم تافهة حتى تهمة أسامة, بل هي ليست بتهم في حقيقتها, فالفكر أي فكر حتى الفكر الجهادي أو غيره ليس تهمة في نهاية المطاف, و أما الفضائح الأخلاقية فهي بعدد نجوم السماء في هذه الفترة التي يتفسخ فيها المجتمع الليبي.

ثم أردف بعد صمت قصير و هو يبصر نحو عيني سليمان:

ـ و أما أنت فأنا أعرفك و أعرف فكرك على أي حال.

امتقع وجه سليمان و لاذ بالصمت متمنيا انقضاء الموقف بسرعة.

لم ينبس أيّ منهم بكلمة حتى قطع تاسعهم الصمت بقوله:

ـ لا تخسروني لأني قد أفيدكم ثم إني سأنصرف الآن و سأزوركم في أقرب فرصة.

و قبل أن يرد أحدهم كان قد غادر المكان.

قال المقداد:

ـ ما رأيك؟

قال سليمان:

ـ لقد دحض أي جدال بكلامه و هو لن يضرنا إذا لم يفدنا فقد هرب معنا و لسنا أعضاء تنظيمات و لا ذوي أسرار لكي يدسوا بيننا جاسوسا ليصلوا إلى شيء يريدونه, فكلنا خُطِفنا بوشايات و تهم ملفقة و هم يعرفون ذلك, ففائدتنا لهم كانت في بقائنا في السجن لابتزاز أهلنا و كسب الترقيات, و لكن هذا الرجل الأربعيني وراءه سر و سوف يخبرنا به يوما.

هرول المقداد خلف تاسعهم حتى لحقه ثم قال له:

ـ أرجوك تعال معنا, سامحني, على الأقل لتعرف مكاننا في الزلمومية.

أبصر تاسعهم نحوه مبتسما ثم قال:

ـ أعرفه, ألست ابن خال السنونو و النونو؟

دهش المقداد و قال بابتسامة:

ـ أتعرفهما؟

ـ نعم, أليس بيت عمتك ملاصق بأرضكم؟

ثم غادر تاسعهم بعد أن أكد على مجيئه.

و انطلق ثلاثتهم ثم انعطفوا في شارع الأحوص حتى فندق الكندي فعبروا شارع الكندي حتى ميدان السويحلي و منه إلى شارع جوهر الصقلي حيث محلات

الأجهزة الإلكترونية ثم عبروا شارع الرشيد إلى شارع قبالتهم إلا أن المقداد منعهم هامسا:

ـ بعد هذا الشارع يقع مركز شرطة الغربي في المأمون و أمامه يجلس المجرمون ساهرين فتعالوا معي.

و عادوا إلى الرشيد ثم انطلقوا شمالا و انعطفوا في شارع النابغة الذبياني المحاذي لسوق الحوت ثم يمينا في شارع المأمون ثم شمالا داخل ممر يصل إلى شارع عمران ثم منه دخلوا المدينة القديمة عبر شارع الدباغ القديم.

كانت المحلات مغلقة و عابرو السبيل قليلا, و أما شوارع المدينة القديمة و بيوتها و مبانيها فهي مثلما يعرفها مَنْ رآها و يتوقعها من لم يرها, ضيقة تربة صغيرة و الجدران متآكلة و يغلب اللونان الأسمر و الأصفر عليها و قد بُلّطت بعض طرقها حديثا, و الظلال نمت في كل مكان بسبب ضيق السبل و الأقواس و السقف على الشوارع, و أكثر البيوت أثري من القرون الوسطى و زمان الدولة العثمانية و أيام الاحتلال الإيطالي إلا في جانبها الشرقي قرب فندق البقّار و سوق الذهب و الدولار فقد مستها يد البناء الحديث إذ أن تجار الدولار و الذهب صاروا يشترون القديم فيهدمونه ليبنوا عمارات جديدة بداخل الأزقة الضيقة.

و كانت بعض الشوارع ضيقة جدا فيسمى الشارع حينئذٍ زنقة.

و انعطفوا شمالا بعد نهاية الدباغ ليدخلوا شارع كوشة الصفار و هنالك رأوا جمعا من الناس أمام محلين, الأول لخياطة مغربية و يليه محل آخر لشيخ ليبي يبيع الماء.

كان بعض من مجرمي شرطة الهجرة يحاصرون ثلاثة رجال حفاة ذوي ملابس رثة من البنغلاديش بأيديهم صنارة و سمك و خيوط و فقر و بؤس و في جباههم تتوهج جمرة من الحرمان و أخوة الإسلام تبتهل للمجرمين لكي يكفوا عنهم, و كان بائع الماء يحاول أن يشفع للبنغاليين لكي تتركهم شرطة الهجرة بقوله :

ـ هؤلاء مساكين, لم يحصلوا على عمل حتى الآن و يتقوتون ليلا بصيد السمك في الميناء قرب القوارب ثم يعودون إلى الخرابة التي يقطنونها فغضوا بصركم عنهم هذه المرة .. شوفوا سمك الشكورفو.

و كانت المغربية بداخل محلها ترتجف خوفا و تلعن الساعة التي قررت فيها التأخر في المحل لإتمام خياطة أحد الملابس و لم تكن هذه عادتها إذ كانت تغلق المحل حين المغرب في أكثر الأحيان.

و لكن قسوة القلب كانت قد تمكنت من قلوب هذه العصابة الإجرامية من شرطة الهجرة فهم لا يرون الغرباء و عابري السبيل سوى مال يتحرك على قدمين و كانوا مصممين على القبض عليهم فاقتادوهم إلى العذاب.

و مروا بجانب الثلاثة و كانوا قد التصقوا بأحد الجدران, و حينما لاحظ أحد المجرمين ملابسهم رياضية قال ساخرا :

ـ الرياضة للجميع هه... (ثم طفق يغني) مارس رياضة ليعيشَ القلب شبابه.

و لما مر المجرمون, مشى الثلاثة ثم انعطفوا في زنقة جامع النخلي الضيقة و كان رجلٌ أسودُ ضخمٌ طويل الأنف يجلس أمام بيته و لمحهم بطرف عينه (و هو عنترة الزبكي و هو من أكابر مجرمي المدينة القديمة و يُلَقَّب فيها بالفحل).

و كان القلق ينجلي عن المقداد تدريجيا كلما اقتربوا من الزلمومية, و انعطفوا شمالا في شارع الأربع عرصات ثم يمينا في زنقة الفنيدقة و فيها أطبقت الظلمة على أنفاسهم ثم شمالا في شارع جامع الناقة و أخيرا يمينا ليدخلوا زنقة الزلمومية التي أطبقت عليهم بضيقها الشديد.

مشوا حتى منتصفها تقريبا حيث دفع المقداد بابا عن شمالهم كان مواربا ثم دخل و دخلوا وراءه عبر ممر ضيق جدا لا يكاد يتسع لشخص واحد ثم انفسح إلى قطعة أرض لا تتجاوز مساحتها خمسين مترا مربعا و في نهايتها غرفة قديمة من طين مساحتها ستة عشر مترا مربعا و بجانب الغرفة حمام عربي صغير في مثل عمرها.

و عن شمال الداخل كانت شجرة ليمون تجاور صنبور ماء و عن يمينه خردة و أثاث قديم و صناديق بها كتب و مجلات أهلكتها الرطوبة إلا أن وجه الفنانة

المصرية بوسي كان يطل من غلاف أحد الأعداد القديمة من مجلة فن, فتذكر سليمان مصطلحَ " النشالات الفاتنات" و مرت صورة الفنان حاتم ذي الفقار في باله, و التقط سليمان المجلة بتلقائية و تصفحها... " باب مراسيل , نداء إلى زياد الرحباني, لماذا أنت مقل في أعمالك المسرحية؟ ... لماذا يشن الناقد كمال النجمي كل هذه الحملة الشعواء على أغنية لولاكي؟"

و أغلق المقداد باب قطعة الأرض من خلفهم ثم عاد إليهما فوجدهما جالسيْنِ يبصرانِ نحو النجوم, و كانت المشاعر غلابة في تلك اللحظات فلم يلفظ أيٌّ منهم بكلمة, ألقتهم يد التعب على ظهورهم و نام ثلاثتهم و هم يبصرون النجوم و اكتنفهم شعور من سبات و خانهم الدمع بين الحين و الآخر قبل أن يغيبهم النوم حتى الفجر.

الفصل الثاني

ـ 1 ـ

و مرت أسابيع.

و لم تكن لهم من تسلية سوى أجهزة الهاتف النقال و الإنترنت التي جلبها المقداد من أهله, فغرقوا في الحياة الافتراضية التي يعيشها الناس في هذه الأيام, انكبوا عن بعضهم تجاه عوالم الإكس (التويتر أو المغرد سابقا) و الفيسبوك (كتاب الأوجه) و التكتوك (دقات الساعة).

و وجد سليمان بعض التسلية في لعبة الأوراق الشهيرة يوجي (Yugioh Duel Links) , و.. نسوا ما حولهم.

و مع تدفق الإطمئنان من روافد شتى منها مثلا:

1 ـ غياب حضور المليشيات, فالغائب ليس له هيبة الحاضر جسدا يعذب و يقتل و يسلخ و يسجن, إذ أن الألم الذي خبروه فيما مضى صار معنى في المعاجم بعيدا عن بالهم.

2 ـ قَفْزُ المقداد الكثير إلى بيت عمته و غيابه لساعات كثيرة عنهم و هذا جعل فكرة الخروج من جُنَّتِهم التي أخفتهم عن المجتمع الليبي (و المجتمع الليبي هو عدوهم) غير مخيفة فطفقت تنمو شوقًا إلى مباهج الدنيا.

3 ـ اضمحلال مشاعر المعاناة إذ لم يبق منها سوى ذكرى و الذكرى طفقت تصير انطباعا ضعيف التأثير, و الانطباع يخدع الهارب من عدوه (أو الممتحن ببلاءِ مثل هذا) , فجرأهم هذا الانطباع للتمرد على الاختفاء و الاختفاء كما يعرف صبيان الكُتّاب هو وطن الهارب من طواغيت الأرض.

4 ـ السأم, و هذا رفيق من لا هواية له و لا اهتمام منه بشيء.

إذ ذاك بدأ الحذر رحلة المغادرة, فارتكب سليمان حينئذ أول أخطائه.

كان سليمان يستمع لطبيبة أسنان ليبية تقيم في مدينة وارينجتن في بريطانيا (و كانت قذرة الأسنان بخراء الفم بسبب التدخين رغم تخصصها المهني), و هي نسوية تخصصت في تحريض الفتيات للتحرر من قيود الأسرة و العادات و التقاليد العربية و ارتدت الحجاب خداعا , و كانت تقول في تلك اللحظة في التكتوك:

ـ الأمر بيدك أنت يا فتاة, حريتك و كرامتك بيدك, اعلمي أن منتهى حلم أي شاب هو أن يؤسس أسرة و يستقر و ينجب أطفالا ليبني بيته و حياته, و أنت بفضل القوانين الليبية التي تعطيك كل شيء تستطيعين هدم حلمه على رأسه,

الأطفال لك بالحضانة و البيت لك بالتمكين و الفلوس لك بالنفقة, تستطيعين الصيطرة عليه بسبب خوفه من انهدام حلم حياته, استغلي هذا أكبر استغلال و افرضي حريتك و استقلاليتك عليه , لا تجعليه يتخذك خادمة له و لا لوالديه... القضاة في ليبيا مع المرأة و حريتها فلا تخافي و هذا تأكيد سمعته نقلا عن ثقات من السيد عبد الفتاح الجلمود رئيس المجلس الأعلى للقضاء في ليبيا.

و تدفقت الكلمات في بال سليمان غضبا " .. أيري على الزمان و على هذه الدولة التي صار فيها عبد الفتاح الجلمود حمار الفصل و أَكَلَة حمامات المدرسة سيدا و عظيما على القضاء الليبي .. شخاخي على هكذا قضاءِ و خرائي على هكذا مجتمع لقيط تربية الهجالات صاحبات الحضانة الأبدية..", ثم مرت في باله صورة طليقته فبصق عليها ألف بصقة و تخيلها ماتت من رائحة ريقه.

أغلق سليمان الاتصال بالإنترنت و قام من مكانه.

و رآه نبيه متجها إلى الباب و يفتحه, فقال له بقلق:

ـ إلى أين ؟ ألا تخاف؟ قد يقبضون عليك.

ـ مرت أسابيع و لم يحدث شيء و لم يبحث عنا أحد و لم يأت خبر عنا في أي صفحة في الفيسبوك فقد فليته فليًا, فَلِمَ نسجن أنفسنا كل هذا السجن؟..
لنخرج بحذرنا, و المقداد يخرج كما ترى.

ـ لكنه يقفز إلى بيت عمته و ليس إلى الشارع.

ـ و لو, هو خروج في النهاية و ربما يخرج من الباب مع ابني عمته, من يعلم؟ يجب أن نعيش حياتنا و لكن بحذر, فابق حتى أعود ثم تخرج أنت لكي يفتح أحدنا الباب للآخر.

و خرج و أغلق الباب وراءه من دون أن يكترث للاستماع لقول آخر منه و كان نبيه قد استسهل الأمر أيضا فلم يلح عليه و لم يحاول منعه.

كان سليمان يلبس جلبابا أبيض اللون و السواك في فمه, فكان مظهره سلفيا مدخليًا قحًّا, فطفق السلام و إفساح الطريق يأتيانه من كل عابر سبيل يمرُّ هيبةً من لحيته و مرآه, " السلام عليكم يا شيخ" , " تفضل يا شيخ", فأدرك في هذه اللحظة مدى نفوذ (أو خوف الناس من) السلفية المدخلية في الشارع.

كانت الزلمومية مزدحمة مع اقتراب الظهر و تدفق البراويط و عليها أموال تجارة الدولار المغموسة في عذابات الليبيين, و مع مرور كل برويطة كانت العصافير تسمع عويل الليبيين بينما أصيب موظفو الكناسة التي تُسمى بمصرف ليبيا المركزي الذي يقع على بعد خطوات من الزلمومية بالصمم فهم لا يسمعون إلا ضحكات الشامخات في الاستراحات أثناء الليالي الحمراء و آهاتهن أثناء عملية المضاجعة فحينئذ فقط تُشْفى آذانهم من صممها , و أما وزير المالية الليبي حمودة الحجاج

فقد جاء أصم من مصر التي كان ينام في مقابرها كالكلب المصاب بالدود في أذنيه, و لا يزال الوزير مصابا بالصمم فهو لا يسمع إلا صوت رئيس الوزراء و العصابات الرأسمالية القذرة فقط و على رأسها تاجر عصير الراوخ حسن حسنية الشهير بدراكولا المهووس برفع الدعم عن البنزين , و أما قلوب كُلِّ هؤلاء الفاسدين فهي ميتة و دفنت خارج ليبيا لأن هذه الأرض جزعت من دفنها فيها فقذفت تلك القلوب القذرة إلى سمّ بركان فيزوف في إيطاليا فصار جحيم فيزوف مدفنا لها.

و اتخذ سليمان سبيله نحو سوق الحوت للفرجة على الخضراوات و السمك, و في شارع المأمون و أثناء مرور زحام من الناس خطفت صبية حسناء تبلغ من العمر عشر سنوات بصره إذ كانت كالأوروبيات حسنا و سمع صاحبتها تدعوها " سمية", فاتخذ اسمها من قلبه عشًّا و قَوَّى حسنها الشهوة التي نامت أوابد من الدهر في جسده و لم توقظها سوى الإنترنت خلال أسابيع الاختفاء.

ثم استفحل أمر شهوته في الشوارع فكان يلتهم أجساد النساء بعينيه التهاما إذ أن صور الإنترنت بُعِثَتْ لحمًا فيها, و دخل شارع الدباغ القديم الذي يطلق عليه مشيخة طرابلس اسم " شارع الحكَّة" فطفق جسده يلحس النعيم من ملامسة أجساد النساء في زحام الشارع و قد مرت فيه عشرات الدميمات فاستمنى في الطريق و هو يمس و يحكّ خمسينية مغربية تميل للبدانة و كانت ذات دمامة , و

فطنت المغربية له و لمح شبح ابتسامة على ثغرها فوقف بحذر تاركا إياها تمضي ثم تقدم ببطء نحو محل لوزيات مجاور فسمع شابين يتهامسان و كان حديثهما يقول أن " هذه المغربية عاهرة تعمل تحت بطرونة في زنقة كفالة" , و كانت بعض الفاجرات الليبيات يتعمدن حكّ أجساد الرجال في الشارع طلبًا للذة أيضًا.

و أدركه أذان الظهر في الطريق و كان حينئذ بالقرب من مسجد السنوسية فدخل للصلاة و كانت الصلاة قد صارت عادة عنده (يبطن فيها شتم الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم).

أدّى حركات ركعتي تحية المسجد ثم اتكأ على أسطوانة في المسجد مواجها القبلة و هو يقول في نفسه لمن حوله من المصلين " أيري على وجوهكم يا نسل الشمبانزي ", و شعر بعد لحظة بقلق جعله يلتفت ليرى (و كانت نوبات القلق لا تفارقه), و إذا أحد سلفية المداخلة يحملق بشدة نحوه ثم لمح برقا اتضح له أنه خرج من هاتف المدخلي, و كان المدخلي شابا طويلا نحيفا ذا لحية خفيفة شديد سواد الشعر يلبس طاقية بيضاء و جلبابا أبيض بالغ النظافة.

كاد يفقد الوعي و اجتاحه الرعب.

ها هو نبض غمر جوانحه يتسارع دقًّا كجري الأرنب.

" لا شك في المصيبة, لقد عرفني ؟ و صورني أيضا .. و لكن .. كيف لسلفيّ أن يعمل بصاصا ينقل الأخبار؟ هذه جديدة.. ألا يقول الله و لا تجسسوا " , وجد نفسه يدعو من دون وعي تقريبا " يا الله أنقذني يا رب أنقذني .. ", و ضل كل شيء في قلبه فلم يبق إلا الله و تبخرت كل أفكار الزندقة في تلك اللحظة من باله إلا أنها لم تمصح.

حاول الحفاظ على هدوئه لكيلا يثير المدخلي , التفت يبصر من حوله ثم قام و مع قيامه قام المدخلي إلا أن سليمان اتجه إلى كوم المصاحف ليلتقط منها واحدا يُطَمْئِنُ به المدخليَّ لبقائه في المسجد , ثم جلس و قلب صفحاته بسرعة ليقع بصره على " قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزامًا ", و تعجب للحظة من "مصادفة" ظهور هذه الآية, و انتبهت عينه لخيط المصحف (الرشام) فوجده لدى الصفحة فهمس للآية " لذا ظهرتِ " فعاوده الجدل الفكري, إلا أن أمر المدخلي شغله فرمى بطرف بصره نحوه فرآه خارجا من المسجد بسرعة, و على الفور رمى المصحف أرضا ثم قام على أثره.

تمهل قليلا عند الباب ثم خرج مترقبا, " أين ذهب ابن الزانية الرضوع؟".

انطلق يمينا ثم يمينا تارة أخرى و حين وصل أمام باب حمامات المسجد سمع ضوضاة من طرف الشارع و رأى شخوصا داخلة على المشهد فدخل الحمامات بسرعة في نفس لحظة انتقال لمح أبصارهم , و سمع صوتٌ يقول :

ـ بسرعة قبل أن يخرج من الجامع.

دخلَ آخِرَ حمام عن شماله و انتظر بداخله ... " يا الله أنقذني" ... للمرة الثانية من دون وعي تقريبا انزوت أفكار الزندقة في ركن مفسحة المجال " لفكرة الله" و لم ينتبه لهذا فقد كان في شغل عن الجدال.

سمع بعد قليل مصريَيْنِ يدخلان و أحدهما يقول لصاحبه :

ـ ذا بوليس الهجرة.

ثم سمع وقع أقدامهما يقف أمام حمامه, و قال نفس الصوت:

ـ انتظرني هنا و هاتِ الدولارات.

ثم خرج المتكلم فيما ظل الآخر قائما لا يسمع منه سوى صوت أنفاسه.

ففكر بسرعة ثم خطرت له فكرة.

فتح الباب ثم همس للمصري :

ـ تعال , ادخل بسرعة.

و بسبب رعبه دخل المصري من دون تفكير تقريبا.

قال سليمان:

ـ أنا تونسي و لا أوراق لدي مثلك, لنبق هنا , فإذا دخل أحد شرطة الهجرة بعد قليل ليفتش فأعطه هذا المبلغ.

لم يرد المصري بحرف و تناول زعبة المال من سليمان و أطرافه تضطرب من الرعب ثم فتح سليمان صنبور الماء ليشوش صوت نزول الماء على الصمت.

و دخل اثنان من الأمن الداخلي ليفتشا الحمامات و قال أحدهما:

ـ أنت فتش هناك و أنا سأفتش هذا الصف.

سمعا أصوات أبواب تُفْتَح و أصوات خطى حذاء تقترب حتى وقفت أمام باب حمامهما, دفعه صاحب الحذاء فوجده مغلقا فدق الباب ثم قال :

ـ شرطة, افتح الباب.

تبادلا رَأْيَةً و هوى سليمان لسروال المصري خالعا إياه حتى الأرض فظل المصري بالكلسون فقط و حينها فتح المصري الباب قليلا و أطلت صفحة وجهه و شيء من جسمه العاري بكلسونه ثم مدّ يده بالمال قائلا :

ـ داخل عليك بسيدنا النبيء و بفاطمة الزهراء أن تتركني فأوراقي ليست معي.

سكوت و معه صوت الماء.. و كان سليمان رابضا وراء الباب يرتجف و غمر جوانحه لا يكف عن الحبض.. و أخيرا تناول قوّاد الأمن الداخلي المال بهدوء و انصرف.

و لبثا يلتقطان أنفاسهما ثم خرجا, كلٌّ في اتجاه و إلى مصير.

خرج سليمان من باب الحمامات تجاه القلالية قبالة الجامع حيث تُباع الجِرار و دخلها عابرا منها إلى شارع الزاوية الكبيرة و قد طيَّشَ الرعب عقله فغاب عن الوجود و الهواجس تهاجم قلبه و انبعثت كل ذكريات السجن المؤلمة حية و كانت الغربان تطير من حوله تنغق.

و لم ينتبه إلا على صوت شرطي يمشي أمامه في شارع كوشة الصفار فأدرك أنه تجاوز زنقة جامع النخلي, و الشرطي يضاحك أحد الجالسين أمام أحد الدكاكين قائلا:

ـ صاحبك هذا ميت لم ير الدنيا في الجرابة و بن عاشور و حي الأندلس.

فأبطأ سليمان سيره قليلا ليبتعد الخبيث عنه و مر بطفل يقول لمن معه من الأطفال:

ـ رأيت التمساح يخرج من البحر و يعض ذيل السمكة التي اصطادها بابا.

و قال طفل ثان لثالث:

ـ أنت كلبي ركس .. تعال يا ركس (فظهرت ملامح الحيرة على وجه الثالث).

و قال رابع للأول:

ـ ذلك الرجل في النار (هو يشير إلى الشرطي).

و مر طفل خامس و كان يغني و يشير بإصبعه نحو سليمان:

ـ دجرو ضاضا.. دجرو ضاضا... الشرطة ستدخل جهنم.

" .. هذا ما تعلمتموه يا نسل التطرف و الإرهاب... جهنم .. النار .. القتل .. تعذيب الناس في السجون.. هذا دينكم العفن يا سلالة الجستابو, ألم يمر الألمان على جداتكم كما مروا على ليبيا ليورثوكم صناعة البصاصة؟".

و مر بجانب ثلاثيني يمشي و على ظهره حقيبة فسمعه يقول بهاتفه :

ـ سواءٌ عليَّ أخرجتِ أم لم تخرجي, انسيني فلا علاقة لي بك بعد اليوم و سأغير رقمي أيضا لكيلا تتصلي بي يا ابنت ستين كلب.

وصل إلى حومة غريان فانعطف يمينا حتى الأربع عرصات, و في الطريق مر طابور من صبيان الكشافة و كانت صبية منهم تغني :

ـ شممت المسك من جنباتك يا بلادي ... يا مَنْ خلقك الزمانُ من فؤادي.

ثم عرج شمالا حتى شارع درغوت فدخله و حينئذ تذكر منزل صديقه القديم السوري غسان باجقني في زنقة الخمري.

ـ 2 ـ

اتصل بالإنترنت بسرعة و هو في مدخل زنقة الخمري فوجد في الواتس عدة رسائل من المقداد و نبيه تسأل عن مكانه و سبب تأخره, بسرعة كتب للمقداد :

ـ لقد انكشف أمري و هم على أثري , سوف أكتب لكما حين أصل إلى مأمني, انتظرني.

ثم قطع الاتصال.

تقدم حتى دخل زقاق السوريين شمالا و هو زقاق يسكنه السوريون الذين فروا من حروب الربيع العربي في الشام, و رأى العمارة التي يقطنها غسان و حينما كان يهم بدخولها رأى فتاة في العشرينات من عمرها رشيقة فذة الجمال فكأنها شمس مشرقة و كانت تلبس خمارا و جلبابا أسودي اللون, تبادلا رَأية تعرف, و بادرته هي بعد أن عرفته بقولها:

ـ أنت عمو سليمان, أليس كذلك؟

ـ أأنت صفية أياسو؟

ـ نعم (بابتسامة)

و تبادلا عبارات التحية و كان وجهها متهللا و قالت:

ـ تغيرت كثيرا يا عمو سليمان.

ـ ألا يزال عمو غسان يقطن هنا؟

فأجابته بأن " نعم " ثم أردفت:

ـ اعلم أن الحاجة أمه قد توفيت منذ شهور و هو منذ ذلك الحين مكتئب فلن تجده بخير نفسيا.

فتركها مسرعا للدخول و هو يتلفت حوله خوفا من أن يدخل بصاصٌ عليهما الزقاق و صعد إلى الطابق الثالث (الطابق الأول هو الأرضي) , و دق الباب.

فوجئ بامرأة فلبينية تفتح الباب فصمت لثوانٍ ثم قال:

ـ أليس هذا بيت باجقني؟

أبصرت نحوه بحيرة إذ التبس عليها الفهم لركاكة لغتها العربية , فأردف بالإنجليزية التي يتقنها بطلاقة:

ـ هل يسكن غسان باجقني هنا؟"

زالت حيرتها و إذا بها تفسح الطريق و تجيبه بالإنجليزية :

ـ نعم.

و دعته للدخول بإشارة من يدها فدخل البيت و كان لم يدخله منذ أكثر من ست سنوات , و في وسط الشقة حيث مقاعد الصالون رأى غسان باجقني مستلقيا فوق أريكة طويلة بين النوم و اليقظة و رآه يشير إليه بالجلوس و كان البيت مظلمًا إلا أنه كان نظيفا, " أأتى بخادمة فلبينية؟".

ـ هل عرفتني يا غسان؟

ـ لا و الله فمن أنت؟

ـ سليمان الكبير.

ـ تفضل يا سليمان... أضيكا (مناديا الفلبينية) ...عصيرا من فضلك.

رأى اللامبالاة تطوف في صفحات وجهه الذي خدره النوم و الكسل و الخمود و كانت الفلبينية تدخل المطبخ و أما غسان فقد صار مغمض العينين لا يكاد يرى شيئا فاتصل سليمان بالإنترنت و كلم المقداد عبر الواتس بالرسائل الكتابية و كان المقداد في حالة شديدة من القلق.

كتب المقداد:

ـ أين أنت ؟

كتب سليمان:

ـ في بيت صديق قديم في زنقة الخمري و لا وقت لدي الآن للإسهاب في أي كلام فاسمعني جيدا , أريدك أن ترسل ولدي عمتك لأختي في الجرابة لترسل إليّ ابنها هاشما حتى يحملني من الخمري.

ثم وصف له عنوان أخته بدقة و طلب منه أن يسألوا عن عائلة نوري و حلومة الكبير و ابنها هاشم نوري.

كتب سليمان:

ـ بسرعة يا مقداد فلا شك أنهم يجوبون الشوارع بحثا عني.

و أغلق الهاتف مع بقاء الإنترنت متصلة ترقبا لأي رسالة ثم التفت إلى غسان مع دخول الفلبينية حاملة عصيرا و شيئا من الحلويات.

و ترك غسانا في غيبوبته عامدا لكسب المزيد من الزمن داخل البيت فقد كان مرعوبا من فكرة الخروج في هذه اللحظات.

قالت الفلبينية :

ـ أرجو أن تعفو عن سلوكه اللامبالي الآن فهو مصاب بالاكتئاب منذ برهة .

ـ و كم تطول حالة اللامبالاة التي أراها منه؟

ـ لا أعرف, لكنك مرحب بك حتى يتنبه للواقع من جديد, بالمناسبة أنا خِدْنه أضيكا.

و سرعان ما اختفت تاركة إياه مع غسان.

تأمل غسانا من جديد, نحيف أشقر أجلح الشعر يبلغ من العمر 61 عاما و في وجهه وسامة يمحوها تقدم العمر الآن , لم يتغير شكله كثيرا و إن غزاه الشيب.

و مرت ساعة... ثم ساعتان أو يزيد , و غسان نائم و أضيكا لا يظهر لها أثر من الغرفة إلا من صأي رضيع يعلو بين الفينة و الأخرى... " من يكون الرضيع؟"

ثم أفاق غسان و طفق يبصر نحو سليمان بلا كلام.

ثم همس :

ـ هل تريد شيئا يا سليمان؟

و لم يشعر سليمان بالحرج و لا غيره من مشاعر الحياء التي تنتاب المرء في هذه المواقف بل تصرف بوقاحة و أراد كسب المزيد من الزمن فسأله :

ـ هل تذكرتني؟

ـ نعم, تذكرتك.

ـ إنما أردت المرور لزيارتك.

ـ زيارتي لأي شيء ... ماما ماتت .. و ها أنا مريض .. و جميلة خانم غاضبة مني و لا تزال تبحث عن محمد.. و لا رغبة لي بالحديث الآن.. يمكننا اللقاء في يوم آخر فمر علي الأسبوع القادم.

و لم يترك لسليمان الفرصة للرد بل تقلب حتى صار وجهه مواجها لمسند الأريكة و هو يقول :

ـ مع السلامة يا سليمان.

و لم يخرج سليمان و لم يتحرك من مكانه بينما غط غسان في نومه مرة أخرى.

كان من الواضح أن غسانا يعاني من اضطرابات نفسية شديدة و هذا شيء كما قدر " سيساعده" للبقاء ههنا حتى قدوم هاشم.

و شغل نفسه بالتحدث للمقداد عبر الواتس و قص عليه ما حدث و خرجت أضيكا حاملة الرضيع و وقفت عند الباب, قالت :

ـ هل استيقظ؟

ـ نعم, و طلب مني أبقى حتى يرتاح قليلا.

قالت:

ـ هل أنت صديقه؟

كذب قائلا:

ـ نعم, نحن أصحاب عُمُر منذ أيام المراهقة و الشباب و كنا نتبادل الكتب و الرسائل و الزيارات.

" شباب .. ملعون كان ذاك الشباب... شبابي الذي أحرقه ضبع جهنم معمر القذافي في سجونه..."

و الحقيقة أن صداقتهما لم تكن سوى صداقة حديثة محدودة و سطحية و اقتصرت على أحاديث متبادلة عن الزندقة فقد كان غسان زنديقا أيضا و إن كانت زندقة غسان مجرد تقليد قرود و حب للمخالفة فقد كان فارغا من أي ثقافة قليل القراءة و إنما تأثر ببضعة مثقفين و فتاة كان يحبها في دمشق قبل هجرته إلى ليبيا في سنة 1437.

قالت :

ـ أرجو أن تحاول أن تخرجه من وحدته و حزنه.

كانا يتبادلان الحديث بالإنجليزية , ثم ابتسمت أضيكا و قالت و هي تومئ للرضيع:

ـ هذا ابننا دانيلو.

" دانيلو؟ .. أهو زنيم؟ (الزنيم هو ولد الزنى) ..ابن حرام؟ .... دانيلو باجقني.. زنيم فلبيني سوري .. و هو ليبي بحكم المولد .. كيف سيكون شكله؟ هذه خلطة زنى جديدة .. الزنى يأتي بكل جديد.. و ليبيا كذلك .. لكن أي ليبيا التي تأتي بالجديد؟ .. بل كيف أنجبته في ليبيا؟.. هل أنجبته في ليبيا؟.. ستكون فضيحة إذن ..لكن لا غرابة فليبيا هي بلد فروخ الحرام و الفاسدين و المجرمين و القوادين و اللقطاء الذين يعيشون في حضانة الأم المطلقة و أم الأم بعيدا عن آبائهم طوال عمرهم .. ليبيا هي بلد قوانين القذافي و هدى بن عامر للزواج و الطلاق و الحضانة, ألم تقل هدى بن عامر في لقاء في قناة الجماهيرية " و قد تمكنت أمينات المؤتمرات في الشعبيات من تحريض المرأة على اكتساح المؤتمرات الشعبية خاصة حينما كان هناك قانون الزواج و الطلاق حتى تتمكن المرأة من صياغة هذا القانون لمصلحتها و ليس العكس " .. إذن هدى بن عامر هي ربة الزواج و الطلاق في ليبيا.., و إلا فكيف وصلت ليبيا إلى هذه الدرجة من الإجرام و الفساد إلا بسبب إلغاء دور الأب و الرجل بصفة عامة ؟ ... آه يا دانيلو يا ابن

الحرام, حظك سعيد أن أمك فلبينية و سوف تنجو بك من جهنم التي تسمى ليبيا...".

سمعها تقول مبتسمة قبل دخولها للغرفة :

ـ إنجليزيتك ممتازة.

" أيري عليك و على دانيلو و على اللغة الإنجليزية يا عاهرة" , و تعجب من استهجانه للعلاقات الجنسية خارج الإطار الزوجي بعد كل هذه السنين من اعتناقه للزندقة.

و مع أذان المغرب وصلته رسالة عبر الواتس من هاشم ابن اخته.

كتب هاشم:

ـ خالي؟ أنا هاشم يا خالي.

" نعم, أنا خالك يا ابن الكلب"

كتب سليمان:

ـ هاشم ... أين أنت ؟

كتب هاشم:

ـ عند باب درغوت ... لكن لا تخرج منه .. تعال من منفذ الزنقة الآخر حيث مقهى "لاكورنو كافيه", ستجدني عنده.

" لاكورنو كافيه؟ و ما علمي به ؟"

و انطلق إليه.

و التقيا داخل زنقة الخمري عند كتابة على الحائط تطل على طريق الشط مباشرة و كانت تقول " أُغلق بقرار الأوقاف رقم 108 في عام 2019".

كان هاشم وسيم الملامح ممشوق الجسد في الأربعينات من عمره تظهر على وجهه علامات الارتواء من نعيم الدنيا و يتدفق السيروتونين في كل خلية من صفحتي وجهه.

و تعانقا بحميمية و كان هاشم شديد الفرح و السعادة , همس له :

ـ حمدا لله على سلامتك يا خالي, لا تخف فكل شيء محلول بإذن الله.

و بسرعة خرجا متجهين نحو سيارة هاشم الجيتور داشينج 2023 (Jetour Dashing 2023) و رأى المقهى عند نهاية الزنقة و به بضعة من الشنافر.

و قبل أن يركب السيارة فوجئ سليمان بتاسعهم يقف بجانبه.

و انتحى بتاسعهم عند مترين من السيارة بينا كان هاشم ينتظره.

ـ كيف علمت بمكاني؟

قال تاسعهم بعد صمت قصير فكأنه كان يرتب أفكاره:

ـ أخبرني المقداد و نبيه بما حدث فقد مررت عليهما في طريقي ثم جئت و انتظرت في هذه الناحية.

و صمت قليلا ثم قال :

ـ لا أريد أن أؤخرك عن ذهابك لكني أوصيك قبل أن تذهب بأن تتقي الله و ألا ترتكب كبيرة تندم عليها فيما بعد.

و سكت قليلا ثم أتم كلامه :

ـ هذا من باب قول الله تعالى " و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر"... رغم علمي بموقفك من الإسلام.. اقرأ القرآن و افهمه بما في قلبك من العربية فربما تكون بدايةٌ.

و لم يجبه سليمان و إن شعر بالارتياب و تساءل عن سبب هذه الوصية ثم جرُؤَ فقال بعد تردد:

ـ فكرتك عني خاطئة فأنا مسلم على منهاج ابن تيمية و الحنابلة كبقية السلفية و الذي أخبرك بأي شيء آخر كاذب.

و حينما همَّ بالمغادرة سمعه يسأله:

ـ هل تريد لقاء الرجل الذي يتراءى في الخيال؟

لم يرد و إن تساءل في نفسه متعجبا عن مغزى هذا الحديث.

ثم مضى.

ـ 3 ـ

لم ينم بسباتٍ منذ سنين مثلما نام تلك الليلة في بيت هاشم في الجرابة, و الحق أن البيت لم يكن بيتا بل قصرا فخما بالرخام و الأثاث المستورد من تركيا, يطل على شارع الجرابة الرئيسي و كان هاشم قد اشترى ألف متر مربع ملاصق لبيت الأسرة في الشارع الفرعي و ابتنى فيه هذا القصر ثم دمج الأرضيْنِ, و سأله سليمان و هما على مائدة الإفطار التي احتوت على ألذ أطعمة الإفطار و كانا في شرفة القصر يشاهدان السيارات المارة من خلف زجاج مكله لا يُرى ما خلفه:

ـ من أين لك كل هذه الأموال؟ (مبتسما).

أجاب هاشم:

ـ الأسر البورجوازية القديمة تتقدم في هذه الأيام بملفات لاستعادة أملاكها التي صادرها القذافي و وزعها على أملاك الدولة و الفقراء و جماعته في السبعينات و رغم كوني قاضيا في محكمة الزواج و الطلاق و أصغر عضو في المجلس الأعلى للقضاء الليبي فإني خط آمن لبعض تلك الأسر للحصول على الأحكام بسرعة و للاتفاق مع قضاة القضايا, و نحن في القضاء الليبي متكتلون في مجموعات ينفع بعضها بعضا و لكل مجموعة حصتها من الغلة.

و صمت ثم أردف مبتسما :

ـ لم تفارق عبارتك عن قضاة الثمانينات عقلي طوال سنوات دراستي.

ابتسم سليمان, "The three Vs, villa, Volvo and video ".

و ضحك سليمان ثم قال :

ـ أراك تتعلم و لا تنسى شيئا.

ـ أنت من زرع الوعي في عقلي... لن تذهب حياتي هدرا ثمنا لمُثُل كاذبة لكي تستمتع عائلات مُطَلّيَنة مثل عائلة بن شاشية أو طاطاناكا أو سفراكسيان بكل هذه الثروات الأسطورية بينا نحن نمص الليمون و العلقم و الحلوى اللحاسة و هم يتسافدون تسافد القردة... لن يأكلني الدود بعد موتي من دون مقابل.

و كان هاشم قد تزندق مثل سليمان الذي زرع فيه تلك الأفكار منذ أواخر التسعينات إلا أنه لم يصل إلى العمق الفكري الذي وصل إليه سليمان بل كان إلحاده سطحيا مثل ثقافته السطحية.

و أردف هاشم بغضب لم تخطئه أذنا سليمان :

ـ ستدفع الكناسة البورجوازية و كلاب الطليان و اليهود ثمن كل قرش يُعاد لهم .. ثم إن بعضا من هذه الثروات هي أموال الطليان و اليهود الذين فروا أو طردوا بداية في سنة 67 و أخيرا بعد مجيء القذافي و استولى هؤلاء عليها بحكم صلتهم بهم.

سكت سليمان قليلا ثم سأله:

ـ هل يوجد كثير مثلنا في القضاء الليبي؟

ـ أكثر القضاة و وكلاء النيابة و المحامين ملاحدة مثلنا و الإلحاد منتشر في الوزارات المهمة أيضا, يمكنك أن تقول أن المجال القانوني الليبي ملحد استنارَ بالفكر الغربي إلا من قلة غبية... نحن شعلة الحق في ظلام الجهل القروسطي.

و دخلت عليهما في هذه اللحظة صفية سفراكسيان زوجة هاشم و هي شابة جريتلية من برقة في العشرين من عمرها ذات حسن باهر و معها حلومة أخت سليمان الشهيرة بين صديقاتها و معارفها و أولي أرحامها باسم " الحلوفة الكبيرة"

(الحلوفة بمعنى الخنزيرة), فصمتا حذرا و طفقت حلومة الحلوفة تحتضن سليمان و تقبل رأسه و هي تبكي و تقول له :

ـ حمدا لله على سلامتك يا أخي, لا أصدق أني رأيتك مرة أخرى, يا رب لك الحمد و الشكر.

و نهض هاشم قائلا :

ـ اليوم سأحل مشكلتك مع الحرباء يا خالي و لن تغرب شمس اليوم إلا و تعاستك قد رحلت إلى غير رجعة.

ـ 4 ـ

و فعلا , حُلّت مشكلة سليمان و لكن ليس في نفس اليوم بل بعد عدة أيام إذ تواصل بعض المتنفذين في المجلس الأعلى للقضاء الليبي مع الحرباء نفسه و تم محو اسم سليمان من قائمة المطلوبين.

و لأول مرة منذ سنين يخرج سليمان إلى الدنيا بلا خوف و لا قلق.

لم يحلق لحيته و لم يتخل عن الستار السلفي الذي احتجب خلفه.

و قضى عدة أيام يتسكع في الجرابة و بن عاشور ثم ذهب إلى المدينة القديمة حيث بيت الأسرة القديم في زنقة القاز المظلمة المتفرعة من زنقة سوق الحرَّارة حيث قام بتنظيف بعضه و تجهيز بعض غرفه لما يريد فعله و هو التطبيق العملي لمعتقده الذي وصل إليه و الذي فاق به بظنه كل من سبقوه.

و مضت أيام ثم تلقى اتصالا هاتفيا من هاشم ليعلمه بأنه مدعوٌ لمأدبة عشاء مع أحد وجوه المجتمع الليبي.

و ذهبا.

و سأل سليمان هاشما في الطريق :

ـ من الداعي؟

ـ ستعلم بعد قليل يا خالي.

كانت الفيلا أو القصر إن أردنا وجه الدقة في حي الأندلس قرب قاعة الشعب و قد كُرّست بالكامل بالبلاط الممرد (marble) و حينما خطوا بداخلها رأى سليمان عجبا من البلاط الفخم المبهر و الديكور العظيم و تقدما عبر ممر ممرد ذي لونين وردي و أبيض انتشرت في جنباته اللوحات الفنية و نماذج مقلدة من التماثيل الرومانية و الإغريقية.

و في نهاية الممر و فوق باب فخم كان نحتٌ بخط مذهب يقول:

ـ "Dura lex, sed lex".

و خرج من الباب رجل أبيضُ عريضُ الرأس أي أن قطر رأسه من الأمام إلى الوراء أقصر من قطره من جانب إلى جانب فكأنه قرش شاكوشي الرأس مستطيلُ الوجه حليقُه صارمُ الملامح أنيقُ الثياب مادًا يده لسليمان قائلا بلهجة أهل برقة :

ـ أهلا بك يا سيد سليمان.

و كان سليمان يعرفه منذ سنوات الدراسة الثانوية و إن لم يحتك به.

و صافحه سليمان بينما كان هاشم يقول:

ـ هذا السيد عبد الفتاح الجلمود رئيس المجلس الأعلى للقضاء في ليبيا يا خالي.

قال سليمان :

ـ تشرفنا بمقابلتك يا أخ عبد الفتاح.

و كأن هاشما استهجن كلمة أخ التي لفظها سليمان فهم بالكلام إلا أن عبد الفتاح سارع قائلا لهاشم بابتسامة خفيفة :

ـ خالك اشتراكي يا هاشم كما أعرف, فلتحمد الله أنه لم يقل يا رفيق.

و ضحك الثلاثة فيما أشار سليمان إلى العبارة اللاتينية و قبل أن يلفظ بكلمة قال رئيس المجلس الأعلى للقضاء:

ـ صدقني, أنا لا أعرف معناها , هي من عمل الشركة الإيطالية التي تولت بناء و تأثيث المنزل كاملا ثم استلمت مفتاحه منها.

و أما سليمان فهمس لنفسه :

ـ القانون هو القانون رغم قساوته.

و دخلا إلى قاعة الطعام الضخمة و كانت من البلاط الأبيض الممرد مع حواشٍ ذهبية و رأيا فيها مائدة عملاقة للطعام من أروع ما يكون, طولها أربعة أمتار و عرضها متر و نصف و أمامها كان يقف قزم طوله 110 سنتميترا و امرأة عجوز.

فأما القزم فقد كان يلبس باروكة انسدل شعرها الاصطناعي على كتفيه و كان أدلم حليق الوجه ذا أنف طويل جدا يصعب تحديد عمره و كان يشبه سكان بنغلاديش.

و أما المرأة فقد كانت متبرجة الشعر تلبس فستانا طويلا في الستينات من عمرها و تلبس نظارة ضخمة فكأنها غواص بحر خرج لتوه من الماء.

تقدم القزم بمعطفه الأسود الأنيق الذي يصل إلى ركبتيه ليصافح سليمان فيما قال هاشم :

ـ هذا السيد الصادق عبد المصور النائب العام في ليبيا.

فيما تقدمت المرأة لتصافح سليمان بانبهار و همت بالكلام لكن عبد الفتاح سارعها قائلا:

ـ زوجتي المحامية عفيفة الكوشيلي لا تصدق أنها التقت بك أخيرا يا سيد سليمان فشهرتك الثقافية في الأيام الجامعية في السبعينات كانت تسبقك دائما.

و لمح سليمان رِئية غيظ في عينيها و هي ترمق زوجها فيما ارتسم شبح ابتسامة خبيثة على شفتي القزم العام و هم ينطلقون ليجلسوا على المائدة الممردة التي يغلب عليها اللونان الزيتوني و الأسمر.

قال عبد الفتاح :

ـ هذه المائدة نسخة طبق الأصل من مائدة ملك فرنسا لويس الخامس عشر.

ثم أردف :

ـ كل الأثاث مستورد من إيطاليا.

قال سليمان:

ـ وكم يبلغ ثمنها؟

قال عبد الفتاح (و هو يستعد للجلوس على رأس المائدة) :

ـ ثمانون ألف يورو تقريبا.

و صدم سليمان بثمنها " ثمانون ألف يورو ... يا أولاد شحيبر على رأي عادل إمام", و صمتوا لأقل من نصف دقيقة ثم تبادلوا عبارات الترحيب و السؤال عن الحياة الخاصة حتى تداخل الشأن العام مع الخاص بعدئذ حينما سألهم سليمان:

ـ أريد أن أعرف مدى التقدم الذي أحرزته حركة التطور و الإنسانية في ليبيا؟ هل من أمل في اللحاق بركب الحداثة حاليا أم لا يزال هذا الهدف بعيدا؟

قال عبد الفتاح الجلمود :

ـ للأسف, الهدف لا يزال بعيدا, فالعامة لا تزال تنفر من الحركة الإنسانية, و تيار المجتمع المدني انتكس مؤخرا بعد القبض على بعض شباب مقهى طاغور, و إن كنا قد قطعنا شوطا لا بأس به خاصة بمساعدة قوانين الزواج و الطلاق الحالية التي همشت دور الأب و أخرجته من حياة أولاده و تبعا لذلك تتفكك الأسرة, و عملية تفكيك القديم كما تعلم مهمة لبناء القيم الاجتماعية الحداثية.

(الحركة الإنسانية هي العلمانية و الإلحاد معًا بمصطلحات تيار التغريب)

ـ و هل ستفرجون عن شباب مقهى طاغور؟

ـ نقوم بذلك ببطء شديد لكيلا نثير الانتباه فالأمن الداخلي و وزارة الداخلية من العامة كما تعلم و هم يعبدوننا و يقدسون القضاء و لا نريد أن نثيرهم ضدنا.

قال سليمان:

ـ لا أظن ما فعلتموه كافيا حتى الآن, فنتائج التفكك تذهب بين المتأسلمين و السلفية المدخلية و عصابات الجريمة, فهل استنبطتم سبب الانتكاسة رغم التزايد السريع لعدد أفراد الحركة الإنسانية في البلاد؟ ما الذي يُنْقِصُ من جهودكم؟

تبادلوا الرئيات ثم قال هاشم بحذر و ليرفع الحرج عن بقيتهم لأنهم كانوا مستكبرين عن السؤال:

ـ ما السبب برأيك يا خالي؟

و صمتوا حينما كان الخدم من البنغلاديش و الأفارقة و الليبيين يدخلون محضرين الطعام و زجاجات الخمر من النوع الإيطالي " بيوني " (Puni Alba) .

و لما انصرف الخدم إلا واحدا إفريقيًا مخلفين وراءهم ما لذ و طاب من طعام و خمر و نبيذ صب سليمان لنفسه كأسا من البيوني ألبا ثم تجرعها دفعة واحدة قبل أن يصب أخرى و قال:

ـ ينقصكم "النظام الأخلاقي" الذي يجب أن يحل محل "النظام الأخلاقي الديني".

و ألقى النائب العام ببصره نحو الإفريقي ثم صاح عليه :

ـ أُخرج يا عبد يا شنفاك يا كلب يا أبا الشلاقم.

فخرج الإفريقي مهرولا بذلة و وجهه إلى الأرض و تجرع سليمان كأسه الثانية و طفق يبصر نحو قعرها ثم قال:

ـ نعم, الأسرة تتفكك, و الأب يخرج من حياة أولاده مع زيادة حالات الطلاق و منعه من رؤيتهم إلا بإذن القاضي... و هذه الرؤية لا تتم عادة (قالها بنبرة مرارة فانتبه النائب العام و شك بأن به حزنا قديما بخصوص هذا الأمر)... و هذا ما جعل هؤلاء الأطفال كاللقطاء بلا أب يضبطهم فيتناثرون حينئذ في كل الاتجاهات و مع التناثر يأتي الذي يلتقط و الملتقطون ههنا بين مجرم و سلفي و إرهابي , فأين أنصار الحركة الإنسانية؟ أنتم تفككون و تنثرون و غيركم يلتقط.

ثم قال موجها كلامه للنائب العام :

ـ ألم تقل في مؤتمر صحفي بأن البلد فيها 700 ألف محضر في مراكز الشرطة خلال آخر عشرين سنة منها 100 ألف جريمة خطيرة.

قال النائب العام :

ـ نعم, هذا صحيح.

ـ إذن لديك جيش من المجرمين تبلغ عدته أكثر من خمسين ألف فرد و هؤلاء 1% من المجتمع الليبي, علاوة على المجرمين الذين لم تكتشفهم الدولة.

و أتم الجملة في نفسه " ... و أنتم على رأسهم يا أولاد البغايا.."

النائب العام:

ـ أمائة ألف أم خمسون ألف؟

سليمان: القضايا فيها طرفان عادةً.

ابتسم النائب العام و بقية الحضور إلا عفيفة لأنها لم تفهم المضمر من معنى عبارته, و أما سليمان فكانت يتجرع كأسا أخرى و هو يقول:

ـ و لديكم الآن عشرة آلاف حالة طلاق سنويا و هذا يعني أن عدد لقطاء الطلاق و هم أشبه بأطفال الزنى لأن الآباء مهمشون .. و الأب المهمش كالميت أو الزاني... أقول أن عدد لقطاء الطلاق سيبلغ بين عشرة آلاف طفل إلى خمسين ألف طفل مستقبلا.

لم يرد أحد منهم بينما احتقن وجه عفيفة بالتوتر.

صب سليمان كأسا آخر بينما كانت عفيفة تبصر نحوه باستغراب و هي تتأمل مظهره السلفي بكأس الخمر بيده ثم اندفع يقول:

ـ عشرة آلاف طفل , سيذهبون إلى تيارات الإسلام السياسي و التطرف و أكثرهم إلى الجريمة المنظمة و سيتضاعف العدد مع تأثير بعضهم على بعض.

لم يرد أحد مرة أخرى.

ـ أيها السادة, أنتم تحرثون في البحر.. إنكم تصنعون سلفادورا في العالم العربي.. مجتمعكم ينهار من دون بناء... ما لديكم ليس لعبة قانون أو مطاردة بين الشرطة و اللصوص بل لديكم مشكلة اجتماعية, انهيار من دون بناء.

تجرع كأسا أخرى و قد قاربت القارورة على الانتهاء و قال :

ـ هذه خمر ممتازة.

قال عبد الفتاح الجلمود:

ـ هي خمر إيطالية يبلغ ثمن قارورتها 150 يورو تقريبا.

ثم تدفق سليمان بالحديث عن أن المبالغة في ظلم الرجل سوف تؤدي إلى نتائج عكسية و أهمها نمو حركات مقاومة فكرية قد تتحول إلى عنف مسلح ثم قال:

ـ المرأة ليست مخلوقا مقدسا لكي يُفعل كل هذا لأجلها بينا يُحتقر و يظلم الرجل (قالها بألم), للأب و الرجل قيمته حتى في المجتمع الإنساني التقدمي.

فابتسم النائب العام بتشفٍ من سبب ألمه و شعر بلذة غريبة و أيقن أن سليمان أحد ضحايا قانون الزواج و الطلاق.

و هنا صرخت عفيفة الكوشيلي :

ـ المرعا مغلوكن مكدص (الترجمة : المرأة مخلوق مقدس).

و لم يفهم لأول وهلة فحدق في وجهها ثم قال:

ـ عفوًا؟

و احمرَّ وجه عبد الفتاح الجلمود بينما ابتسم القزم العام بخبث و طفق يتغو, و التغو هو الضحك الذي يحاول صاحبه مغالبته, و كان جسد القزم يميد على كرسيه من سبب ضحكه المكتوم بينا استمرت عفيفة تقول :

ـ المرعا أظيما, البجريا بضأط بالمغهلا النونية (الترجمة : المرأة عظيمة, البشرية بدأت بالمرحلة الأمومية)".

تساءل سليمان:

ـ أي نونة هذه؟

ثم فهم أنها مصابة بالديسلاليا أو عيب شبيه بها (الديسلاليا هي عدم القدرة على التلفاظ الصحيح للكلمات المؤدي لإفهام المخاطب).

قال عبد الفتاح الجلمود و هو يكاد يبكي من الموقف المحرج:

ـ عفوا يا سيد سليمان, لكن زوجتي من ذوي الاحتياجات الخاصة, هي تقول لك أن المرأة مقدسة و أن البشرية بدأت بالمرحلة الأمومية قبل المرحلة الأبوية.

قال سليمان و هو يتجرع الخمر:

ـ كيف يكون مقدسا من يخرأ و يبول؟ و أي مرحلة أمومية و المرأة ضعيفة الجسد ناقصة الدماغ علميا فكيف تصيطر على الرجل و هو القوي جسدا و الزائد في كتلة الدماغ عنها و هو الذي صنع الحضارات و الإمبراطوريات و قاد الجيوش و اكتشف المخترعات و حطم الأرقام القياسية في عا لم الرياضة؟ تهريج النسويات لا يمكن أن يمر في جلسة مصارحة مثل هذه... المرحلة الأمومية مرحلة وهمية تخترف بها النسويات لتجنيد المتخلفين عقليا من الرجال.

و هنا جُنَّ جنون عفيفة فقذفت فوطة المائدة على سليمان و قامت غاضبة من مكانها و هي تصرخ عليه:

ـ أنطا حكيغ (الترجمة: أنت حقير).

و كانت دموع القزم تهطل من عينيه و هو يتغو و يغالب ضحكه بينما كان هاشم و عبد الفتاح في منتهى الحرج.

و ساد صمت قبل أن يقول سليمان:

ـ الذي تفعلونه الآن خطير عليكم, هنالك حركة مقاومة فكرية بدأت تظهر ضد هذه القوانين الغبية للزواج و الطلاق و الحضانة .. حركة المقاومة هذه ستؤخر أي مخطط لأنسنة هذا المجتمع الهمجي الغارق في ظلام القروسطية .. هذه القوانين الغبية التي تنتج الاحتقان شرعتها الهمجيات و على رأسهن هدى بن عامر ... كيف يكون للهمج أن يشرعوا القوانين؟ .. أنا ضد أن يشرع نواب البرلمان القوانين أيضا فما هم إلا جزء من الهمج .. التشريع يكون من النخبة و الصفوة المثقفة في المجتمع, المقاومة اليوم فكرية و غدا ستكون بالسلاح.. انتظروا للحظة.

ثم التقط هاتفه من جيبه.

و طفق يرسل رسالة عبر الواتس إلى هاشم.

ثم قال لهاشم :

ـ رِءْ واتسك يا هاشم, هذا النص ينتشر بين مجموعة تسمى نفسها لجنة الآباء , و هو نصٌ من كتاب عنوانه مأساة الأب في ليبيا.

وكان نص الرسالة يقول:

ـ إذن لنلخص الآن ما سبق قوله في مسألة الحضانة... لا وجود لشيء اسمه الحضانة في القرءان بل الأولاد لأبيهم و هم معه و الرضاعة تكون لحولين و لا تمنع الأم من زيارة أولادها و لا يمنعون من زيارتها و إذا تركهم الأب مع أمهم فهذا برضاه و ليس بكرهه و لأنها الأولى من بقية النساء للبقاء معهم فإذا عاسرت الأب فلا بقاء لها معهم , و أما الحضانة عند أهل السنة و الجماعة فهي على آراء..... رأي أصحاب الحديث و هم مالك و الشافعي و أحمد ابن حنبل أنها تنتهي حين السابعة و حينها تترك الخيرة للذكر فهو يتنقل بين أبيه و أمه , و أما الأنثى فهي عند أبيها بلا تخيير و لا تمنع الأم من زيارتها متى شاءت , و يشاركهم في هذا الرأي الأشاعرة و أما ترتيب الحضانة لمن هو دون السابعة فهي للأم بلا خلاف بينهم ثم اختلف الفقهاء في تقديم نساء العصبة أو النساء من جهة الأم و الصواب مع من قدم نساء العصبة لأن الأولاد لأبيهم في القرءان و من ينكر أو يضاد هذا فهو كافر خارج من ملل الإسلام كلها و محارب لله و رسوله, و من يمنع و يحرم الأب من أولاده فهو كافر أيضا , و الاحتجاج بقضية عاصم ابن عمر ابن الخطاب ضعيف لأن أم عمر ابن الخطاب لم تكن حاضرة و لم تتقدم امرأة من نساء العصبة العمرية... و أما الحضانة عند البخاري فهي للأب ثم للرجال العصبة بلا خلاف, فإذا استوت مكانة من تقدم للحضانة تم

الترجيح بقرابة النساء.... و أما الحضانة عند أصحاب أبي حنيفة النعمان ابن ثابت فتنتهي للذكر حين استغنائه عن خدمة النساء و تنتهي للأنثى حين تحيض أي بين 8 إلى 13 سنة و لذا اتفق الأحناف على أن حضانة الأنثى تنتهي حين التاسعة..... و للأب و الأم الحق في رؤية الأولاد متى شاء أي منهما و لا يمنع أحدهما من ذلك, و لا يوجد في الإسلام شيء اسمه إذن زيارة من القاضي فلا علاقة للقاضي بالولاية على الأولاد و لا رؤية الأولاد و إنما مهمته فصل التخاصم و تهدئة الخواطر و توضيح الحدود و الحقوق للطرفين و لا يستطيع القاضي تطليق المرأة رغم أنف الزوج, فالطلاق بيد الزوج وحده و جعل الله الفداء مخرجا للمرأة التي تأبى الرجوع إلى زوجها, فلا يوجد خلع في دين الله و لا طلاق بيد المرأة أو القاضي و كل طلاق كان بيد القاضي فهو باطل.... و للأب قوة المنع و أخذ الأولاد من الأم إذا رأى أنها هي أو أهلها يفسدون أولاده عليه و يعلمونهم كره أبيهم و عصبتهم... إذن الحضانة في مذاهب أهل السنة و الجماعة تنتهي حين السابعة و حينها يُتْرَك الذكر لاختياره بين أمه و أبيه فمرة عند أمه و مرة عند أبيه و أما الأنثى فهي عند الأب بلا تخيير لأنها عرضه و شرفه , و الأب و العم و الأخ و العصبة هم حماة العرض و الشرف لكن القضاء العلماني الليبي و القضاء العلماني العربي عامة لا شرف و لا غيرة عندهم بل هم أهل دياثة و رشوة لا يعرفون الأصول و لا الأخلاق الطيبة لأنهم عملاء للعلمانية الغربية فهم ينفذون الأوامر الولائية التي تأتيهم من قلاع الزندقة في واشنطن و لندن و باريس , و

كلهم يهمهم أن يصير أولادنا كاللقطاء الذين لا آباء لهم فتتفكك مجتمعاتنا العربية و تزول قيمنا الأسرية التي نعتز بها و ينتشر بيننا الزنى و فاحشة قوم لوط و كل الانحرافات..... و أما الحضانة الأبدية للأم فهذه عند الإباضية, فحكم الحضانة عند الإباضية هو أن الأم أولى بالصبي و على الأب الأجر ما دام في حد الصغر إلى أن يعقل الخيار فحيث اختار, و الجارية أمها أولى بها إلى أن تبلغ و يزوجها أبوها إلا أن يُعلم أن الأم غير مأمونة فالأب حينئذ أولى بها.... أي أن المحاكم الليبية تحكم اليوم بأحكام المذهب الإباضي و ليس بأحكام أهل السنة و الجماعة.... انتهى النص.

و طلب القزم و عبد الفتاح نص الرسالة من سليمان فتبادلوا أرقام الواتس و أرسل إليهما نصها و طفق الثلاثة يقرأونها.

قال النائب العام:

ـ أين أجد هذا الكتاب؟

أجابه سليمان:

ـ تجده في موقع Internet archive .., و سيظهر لك, و هو كتاب صغير محكم الاستنباطات.

قال عبد الفتاح:

ـ أظنك مصيبا, و خاصة أننا قرأنا تقارير من الأمن الداخلي عن رجل يطلقون عليه اسم " الرجل الذي يتراءى في الخيال" .

و تذكر سليمان كلام تاسعهم, ثم سمع هاشما يقول :

ـ يهمس الذين يذهبون إليه للتحاكم و لكي يفصل بينهم بأنه المهدي المنتظر.

و ضحك القزم و قال :

ـ صارت عندنا طائفة شيعية أخيرا.

و تناولوا الطعام بصمت ثم قال هاشم و هو يرمق سليمان الذي بدا و كأن الخمر قد أخذته كل مأخذ بينا في حقيقة الأمر كان سليمان يفكر في " تاسعهم و الرجل الذي يزعمون أنه المهدي المنتظر":

ـ أظنه وقت الانصراف يا خالي.

و تجلى الاهتمام في عيني عبد الفتاح و قال:

ـ لا بد أن نلتقي به مرة أخرى يا هاشم... نريد أن نستنير برأيه في تلك المشكلة التي تخصنا.

و ظهر القلق على ملامح القزم و هاشم و قال هاشم بحذر:

ـ كيف؟ هل ستصارحه؟

قال عبد الفتاح:

ـ بل سيرى بعينيه كل شيء أولا.

ثم أردف سائلا سليمان:

ـ لقد نسيتَ أن تخبرنا عن النظام الأخلاقي البديل يا أخ سليمان؟

فقال سليمان و هو يقوم من مقعده شارد الذهن:

ـ واتاشيتاكي نُ دوتُكو (Watashitachi no Doutoku).

ـ 5 ـ

و مر يومان ثم وصلت رسالة عبر الواتس من النائب العام إلى سليمان يقول فيها:

ـ أريدك صباح الغد فكن عند هاشم و سأمر عليك الساعة الثامنة صباحا.

و مر عليه النائب العام برتله المكون من سيارات الفرقة رقم 1 للحراسة و هي المليشيا الخاصة له , و كانت السيارات من نوع "تويوتا لاندكروزر بيك اب" سُود اللون و الهمج يطلقون على هذا النوع من السيارات اسم ثعلوبة, و أما هو فكانت سيارته تويوتا لاندكروزر 2023 بيضاء اللون و هي التي يطلق عليها الهمج اسم اللبوة.

وكان مع رتل النائب العام رتلٌ آخر من الكناسة البشرية التي تسمى بالشرطة القضائية و هي الشهيرة بعمليات حرابة الأولاد من آبائهم.

و التفت القزم العام إلى سليمان قائلا :

ـ سأريك شيئا ظريفا بعد قليل.

و انطلق الرتلان بأقصى سرعة نحو شارع جمال عبد الناصر في المدينة (و أهل ليبيا يطلقون على طرابلس المركز اسم المدينة و تمتد المدينة من البحر إلى طريق السور جنوبا ثم من الظهرة شرقا حتى دوار سوق الثلاثاء غربا, و قلب المدينة هي المدينة القديمة و قلب المدينة القديمة هي زنقة الزلمومية و ما يحيط بها من سوق الذهب و الفضة و الدولار).

و دهست إحدى سيارات الرتل شيخا عند بداية شارع عمر المختار و لكنها لم تتوقف بل ظلت تجري لفترة و جسده تحت دواليب السيارة حتى تقطع جسده إلى ثلاث قطع و حينها ظهرت ثمانية كلاب متشردة من بين العمارات و بدأت بنهش الجثة و أما رأس الجثة فتدحرج حتى سقط عبر فتحة للصرف الصحي حيث أكلته الجرذان, و لم ينتبه مفرخ السيارة لما حدث لأنهم كانوا يشاهدون مقطعا للمشرتع في التكتوك و هو يقول :

ـ ما شاء الله ما شاء الله .. مكرونة و دجاج .. ملعقْ ملعقْ .. هات خبيزة.

و المفرخ كلمة تطلق في ليبيا على الغلمان و الشباب الذين لا يعقلون و إنما هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

و هَمُّ هؤلاء المفرخ لا يتجاوز شهوتي الفرج و البطن و شعار أحدهم قوله:

ـ إنما أحيا لأجل أيري.

و دخل الرتلان شارع جمال عبد الناصر من شارع عمر المختار و رأيا زحام الناس على مقهى القدس الذي يبيع شطائر اللحم و الكبد عند سيمافُرو جمال.

" الهمج كالذئاب و الكلاب يأكلون اللحم منذ مطلع الفجر".

و أما النائب العام فمرت في باله كلمة " اللحم لذيذ", ثم صوت المرأة من المشاهد الأولى من فيلم الهروب لأحمد زكي و هي تقول " لحمة .. لحمة يا ولاد" و صورة زعبور في رسوم سنان ثم مرت مشاعر طفولته حينما كان جائعا حافيا يجعل أكياس الدقيق جلابيب في أرياف زليتن و كان يأكل يومئذ قمل رأسه و قمل المعز و الخنافس أحيانا بدلا باللوز مع كوب من الشاي الساخن.

و بسرعة اتصل القزم بأحد مفرخ الرتل ليقول له :

ـ انزل و اشتر لي ثلاثة شطائر مفروم و ثلاثة شطائر كبدة.

ثم دخلا خامس شارع شمالا و عند مكتب الفرح للعقارات وقف الرتلان و كان عبد الله العشيشة الوسيط العقاري صاحب المحل يقف أمامه و لما رأى السيارات المخيفة و المليشيات و جنود الشرطة القضائية و الأسلحة دخل بسرعة في محله ثم أغلق الباب و تبول على نفسه من شدة الخوف و ظل يشاهد من خلف الزجاج المكله فيما خلا الشارع من عابري السبيل خوفا و حذرا.

و وقفت لبوة القزم أمام عمارة قبالة المكتب, و قفز الجنود و الضباط من سياراتهم ليقتحموا العمارة, و صاح النائب العام على السائق و المرافق :

ـ انزلا.

فنزلا.

و ظل القزم و سليمان فقط في اللبوة المكلهة, قال سليمان:

ـ ما الأمر؟

قال النائب العام بجذل:

ـ أنا أُسَمّي هذه العمليات بعمليات السبي.

لم يفهم سليمان شيئا لكنه رأى المجرمين يقتحمون العمارة بأسلحتهم بينما التصق القزم بزجاج النافذة و هو يبتسم و يضحك و يقفز كشيطان الشيشة و قرود

الشمبانزي, ثم سُمِعَ صراخ و بكاء بعد قليل بينما كان الجنود يخرجون ممسكين بثلاثة أولاد يتبعهم والدهم و عماتهم و أم الأب, و حاول الأب الوصول إلى أولاده و دموعه تنهمر من عينيه بصمت و هو يقول :

ـ ما الأمر؟ هؤلاء أولادي.

فألصقه اثنان من مفرخ المليشيات على الحائط و انهالوا عليه صفعا و ركلا و بصقا, و أما القزم فقد أُصيب برعاش لذيذ غريب و هو يضحك و أخرج أيره المنتصب من سرواله و بدأ بالاستمناء و هو ملتصق بزجاج النافذة المعتم يشاهد الحدث بلذة عجيبة, و كانت أم الأب و العمات يصرخن و يبكين, ثم ظهرت هجالة حقيرة من شارع جانبي و كانت تبصر نحوهم بحقد و اتضح أنها أم الأولاد و كانت أمها بجانبها فهي أم الأم و الحضانة لها من دون الأب من بعدها بزعم الديوثين من العلمانيين و أتباع سحنون صاحب المزورة الكبرى.

و هكذا فإن أوباش العلمانية و فوانص ليبيا احتاطوا كل الحيطة حتى لا يعود الأولاد لأبيهم, فالأولاد إلى الأبد ضائعون من أبيهم.

و قد حكمت محكمة سوق الجمعة الجزئية القذرة بقضاتها النسويين المرتشين لهذه الهجالة بالحضانة رغم أن الأولاد تجاوزوا السابعة و سمعها سليمان الذي اجتاحه شعور بالألم أشبه بالاختناق و هي تقول لهم :

ـ لن تشموا رائحتهم بعد اليوم.

و ثبتت عين سليمان على است النائب العام و هي تتحرك بتناسق مع حركة يده و هو يمارس الاستمناء و كان القزم يتآوه و يلبلب مثل ذكر المعز حتى تدفق منيه على باب السيارة و صرخ صرخة لذة سمعها كل أهل الشارع و انهار النائب العام القزم بعد عملية القذف و تكوم في أرضية اللبوة و هو يرتجف.

لم يصدق سليمان ما يحدث أمام عينيه و كاد أن يغشى عليه من هول الموقف, و مرت ذكرى ابنته ندى في باله مخلفة ألما لا يوصف إذ هربت بها أمها منذ أن كانت جنينا في بطنها فلم يرها نهائيا منذ ولادتها سنة 1427 هـ , و قد حاول أن يزورها ذات مرة فضربه إخوة طليقته أمام بيتهم حتى كادوا أن يتلفوه.

و ظن سليمان أن النائب العام يعاني عقدة نفسية من قسوة الأب أو شيء من هذا القبيل و لكن قصة النائب العام كانت تختلف كل الاختلاف و هي لغز قد نحلّه مستقبلا.

و التفت القزم و هو يلبس سرواله إلى سليمان و كان مرهقا و العرق يتصبب من جبينه و قال:

ـ سوف أعيد لك ابنتك ندى.

و صعق سليمان من الكلمة و استمر القزم قائلا:

ـ نحن آلهة ليبيا يا سليمان, و لا معقب على أحكامنا, و لكنْ لي مطلبان منك.

و تحفزت حواس سليمان الذي لم يلفظ بحرف و هو يستمع للنائب العام الذي قال:

ـ الأول مشكلة نعاني منها و نريد حلها و الثاني شيء أريده من هذا العالم و أريدك أن تخطط لي لأصل إليه... و أريد الحلول و المقترحات مكتوبة في أوراق لكي أدرسها , و طفق يتكلم و جحظت عينا سليمان دهشة إذ لم يخطر مطلبه الثاني نهائيا حتى في خياله.

ـ 6 ـ

استيقظ سليمان في صباح اليوم التالي مرهقا و كان تعبه نفسيا قبل أن يكون جسديا, كان لا يزال مرتبكا من المطلب الثاني للنائب العام و إن وجدها فرصة لتصفية الحسابات مع أم ندى و أهلها.

لكنه أجَّل كل شيء لحين الانتهاء من مسألة بدا له أن لها الأولوية الآن و هي السعي للقاء الرجل الذي يتراءى في الخيال و هو المهدي المنتظر بزعمهم.

و راسل سليمانُ المقدادَ عبر الواتس فحصل منه على واتس تاسعهم.

و مرت أيام و اتفقا على موعد ثم التقيا و ذهبا إلى المكان الذي يظهر فيه المهدي المنتظر و هو لسان بري صخري مساحته 22 هكتارا يمتد داخل البحر من دوار سوق الثلاثاء بجانب حي الأندلس و هذا اللسان لا تراه الدولة الليبية و لا مجرموها و لا حلف الناتو بأقماره الصناعية و هو غير موجود في أي خريطة.

و رأى فيه زرائب من صفيح المعدن و خياما و لاجئين ينامون و لا سقف لهم سوى السماء و أحاطت باللسان الصخري عشرات من القوارب.

و رأى أناس يتحلقون حول النيران يطهون الشاي و الطعام و يتحدثون و بعضهم كان يغني و يرقص.

و قاده تاسعهم إلى ركن في اللسان الصخري كان شبه خالٍ يطل على البحر.

و هنالك... رأى فيه المهدي المنتظر.

كان المهدي المنتظر يقف و وجهه إلى البحر ثم التفت إليهما و لكن لم يتبين سليمان ملامح وجهه, ربما بسبب اقتراب مغرب الشمس , كان الرجل ظلا و بدا فعلا و كأنه يتراءى في الخيال, و أما لباسه فكان السواد كسواد دولة بني العباس إذ كان يلبس فانلة من صوف أسود و سروالا أسود و حذاء أسود.

قال المهدي المنتظر:

ـ السلام عليكما.

قال تاسعهم:

ـ و عليكم السلام ... هذا سليمان الكبير (مشيرا نحوه بيده).

بدا صوت المهدي المنتظر ليس بغريب عن سليمان, " أأعرفه؟ أقابلته قبلا .. صوته ليس غريبا عني".

و اعتصر سليمان ذاكرته و لكن بلا فائدة.

قال المهدي المنتظر:

ـ طلبت لقائي.

قال سليمان:

ـ هو الفضول بعد أن ذكرك القوم أمامي.

قال المهدي المنتظر:

ـ من؟

قال سليمان:

ـ جبابرة البلد, فقد وصل خبرك إليهم و لكنهم لا يعرفونك بعد, و كلاهم على أثرك على أي حال فاحذر.

دقيقة صمت.

قال المهدي المنتظر:

ـ تفضل.

قال سليمان:

ـ أولا أأعرفك؟ صوتك ليس بغريب عني , كأنه يأتيني من ذكرى بعيدة.

قال المهدي المنتظر:

ـ نعم, تعرفني و أعرفك و لن يكون لقاؤنا هذا الأخير لذا فإني أعرف أنك ملحد, و سأختصر أي مترٍ لضيق الوقت فالغروب آن كما ترى.

ثم صمت قليلا و بدا و كأنه يرتب أفكاره و يستجمعها ثم قال:

ـ مشكلة أمثالك ليست الشريعة و التيارات الإسلامية, فهذه أعراض ثانوية للعرض الأول الذي هو مدار مسألتكم و هو الله عز و جل.

قال سليمان:

ـ هذا صحيح, أثبت لي أن الله موجود و من دون إمتار في الكلام.

قال المهدي المنتظر:

ـ الأمر بسيط و سهل و لا يحتاج لعالم فيزياء و لا رياضيات.

ـ كيف؟

قال المهدي المنتظر:

ـ ألا يوجد ما يُظْهِرُ و يبين الأشياء و يجعلها تتخلق؟ أي ما يجعل البروتون بروتونا و الإلكترون إلكترونا و الخ من جزيئات إذ يعطيها خصائصها التي تنبني عليها عملية الخلق بعد ذلك؟ .. و هو القديم أو الأقدم من غيره.

و أردف بعد ثوانٍ من صمت:

ـ أعنى الأول الذي تخرج عنه كل الخلائق.

فكر سليمان قليلا و لم يرد أن يجيب بسرعة لأنه كان يعرف أن الردود السريعة ليست سوى نتاج ما هو موجود و مثبت في القلب من معرفة أو علم أو انطباع أو ذكرى أو عادة, و كان المهدي المنتظر مثله في إدراكه لهذا الأمر فتركه و لم يستحثه.... و لُجِمَ سليمان فبهت.

و أجاب سليمان بحذر و كان قد جلس متفكرا:

ـ بلى, هذا لا ينكره عاقل.

فقال المهدي المنتظر:

ـ فهذا هو الله في القرآن, يقول الله تعالى في سورة النور " الله نور السماوات و الأرض, مثل نوره كمشكوة فيها مصباح, المصباح في زجاجة, الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار, نور على نور, يهدي الله لنوره من يشاء, و يضرب الله الأمثال للناس و الله بكل شيء عليم " , و النور في اللغة هو الذي يُبين أو يُظهر أو يخلق أو يجعل الشيءَ أو الأشياءَ, فالله هو الذي يخلق و يبين و يظهر السماوات و الأرض و ما فيهن.

قال سليمان:

ـ ألا يقال أن النور هو الضوء؟ ألا يقول القرآن (و أبى أن يقول الله) بأنه جعل القمر نورا.

قال المهدي المنتظر:

ـ ذاك المعنى المبتذل الذي انتشر بين الناس نتيجة للحمل على سعة الكلام, و أما قول الله بأنه جعل القمر نورا و قدره منازل فقد فسره بقوله لتعلموا عدد السنين و

الحساب أي أن القمر نورٌ لأنه يبين عدد السنين و الحساب و المواقيت للناس و الحج.

اربد وجه سليمان فلم يستطع الجواب و هو يفكر مليا.

ثم أردف المهدي المنتظر بعد دقيقة صمت و هو يتابع غروب الشمس و كان سليمان لا يزال يفكر:

ـ و أما الإيمان فهو من الأمن و الأمن ضد الخوف , و السلم ضد الأذى و الضرر و الفساد, و الإسلام من السلم, فإن أخفت الناس فلست بمؤمن و إن لم يسلم من لسانك و يدك الناس فلست بمسلم, و الصدق ضد الكذب و الكاذب كافر لا نصيب له من الإسلام, و العبادة هي الطاعة بلا معصية , و السيد هو المطاع بلا معصية, و الرب هو المالك أو السيد المطاع بلا معصية و الإله هو الرب الوحيد في مجتمع أو الرب الأعلى على أرباب آخرين في مجتمع.

و صمت قليلا و قرص الشمس يعزب في البحر:

ـ و الكفر هو التغطية و حين نكفر فإن الظلمة و هي الظلام تأتي حيث لا نتبين الأشياء أو السبيل إن كنا نمشي في سبيل فنصير إلى حيث ليس بموضعنا , فالظلمة ستجعلنا نفسق من السبيل أي نخرج منه و حين نفسق من السبيل في الظلام فإننا نضل عنه و نصير إلى غير موضعنا و الضلال قد يجعلنا نشطن بعيدًا

عن السبيل, و هو نفس فعل العصيان فالعاصي كافر لأنه يفسق عن أمر الله (كما فسق إبليس عن أمر ربه فكان من الكافرين) فيصير إلى غير موضع ما يراد بالعبادة و هذا ما يفعله الظلم الذي هو نتاج الكفر, فالكفر يقود إلى المعاني التي قرأناها, إذن معاني كفر و عصى و ظلم و فسق و ضلَّ و شطن مرتبطة بعضُها ببعض, فالكافر و العاصي و الظالم و الفاسق و الضال و الشاطن أو الشيطان مسميات لجوهر واحد في القرآن.

قال سليمان:

ـ و من هو العاصي؟

قال المهدي المنتظر:

ـ هو فاعل الكبائر و تُعرف الكبائر بقول الله أنه حرم كذا أو تجد الفاعل أو الفعل نُعِتَ في الكتاب بالكفر أو العصيان أو الفسق أو الظلم أو الضلال أو الشيطنة أو الكلمات التي تدل على العدوان أو توعد اللهُ الفاعلَ بالعذاب أو قيل في الكتاب " تلكَ حدودُ اللهِ فلا تقربوها" .. فتنبه لآخر الآية دائما و ما عدا هذا فهي صغائر لا يكفر فاعلها.

قال سليمان:

ـ أربكتني, لقد بسطت الأمور إلى معاني اللغة و هي فلسفية معقدة كما تعلمنا طوال حياتنا و كنت أنتظر نقاشا أعمق.

قال المهدي المنتظر:

ـ الأمور بسيطة فعلا, القرآن عربي و لم ينزل للفيلسوف و للنخب الثقافية فقط بل للناس كافة و اللغة في حدها الأدنى تكفي لفهمه.

صمت كلاهما ثم قال المهدي المنتظر :

ـ ليس لدي نقاش أعمق في هذه المسألة و يكفي ما أعلمتك به و لنا لقاء آخر فلا تقلق و قد حان الليل كما ترى.

لم يكن سليمان يريد الانصراف , فظل في مكانه مفكرا بعد أن ذهب المهدي المنتظر حتى استحثه تاسعهم بقوله :

ـ هيا.

و حينما مشيا على شاطئ اللسان الصخري و الظلام و البحر يحيطان بهما ظل يفكر و دوامة تعصف في باله.

" رجل مجنون كذاب .. يخزرب بلا علم و لا بينة .. بسّط الأمر إلى حد السخف و الهزال ... أهذا هو الإسلام؟ "

و لم ينكر حقيقة معنى نور السماوات و الأرض ... " أهذا هو الله؟"

و طفق يتلفت و شعور جديد يتخلله... " أأنت هنا طوال الوقت؟" ... "كلمني" ... " بل امنعني عما عزمت عليه إن كنت تعقل و تفهم و لم تكن آلة طبيعية " ثم انتبه إلى أن معنى الطبيعة نفسه نتاجٌ من نور السماوات و الأرض.

"كل شيء نتاج نور السماوات و الأرض".

فبهت و صدم مرة أخرى فانحسمت مادة الجدل ضد الله في قلبه.

"كلمني , ألا تسمعني؟ "...

و لأول مرة لم يقل " إن كنت موجودا" ..

فقد عجز هذه المرة عن قولها.

ـ 7 ـ

فتح سليمان باب سيارة هاشم ثم ولج فيها و بادره هاشم قائلا :

ـ اليوم سترى المشكلة التي لمحت لك بأننا متورطون فيها و نريد اقتراحك لحلها.

و التفت إليه قائلا :

ـ أين هاتفك؟

قال سليمان:

ـ تركته في بيت أمك, فما دامت مشكلة و سأراها بعيني فمن المقلق أن أذهب معك بهاتف مثل سامسونج بخصوصياتي فيه , أتيت بهاتف بيلة لا قيمة له.

فابتسم هاشم و قال :

ـ لم تخيب ظني في ذكائك.

" ذكائي خانني في مسألة الله يا بني".

كان الوقت بعد المغرب و انطلق هاشم بسيارته نحو أحد قصور حي الأندلس قرب قاعة الشعب, و دخل بدروم القصر ليوقف سيارته في محطة السيارات الموجودة تحت الأرض بثلاثة طوابق.

و هرع الخدم الأفارقة و البنغلاديش و الليبيون ليفتحوا لهما بابي السيارة, و كان الخدم الليبيون من أولاد الهجالات كما جرت العادة في قصور و فيلات قضاة ليبيا فهم السبي حسب قول القزم العام و كان يُجرى تلقينهم مبدأ طاعة القانون الوضعي و تقديس القضاء الليبي الملحد في بيوت الهجالات بعد ذلك, فهم لقطاء بلا آباء كأولاد الزنى و آباؤهم أحياء كالأموات.

و هذه الطائفة من الآباء في ليبيا (و هي التي فقدت أبناءها بسبب قوانين هدى بن عامر و معمر القذافي للزواج و الطلاق و بتواطئ من كلاب المذهب المالكي أتباع سحنون التنوخي خبيث القيروان) تُسمى بالزومبي في بعض أحيان لأنهم ماتوا و هم أحياء و هم يذوقون الموت ألف مرة كل يوم بسبب حرمانهم من أولادهم.

و استقلا مصعدا كهربائيا فخما إلى الطابق الأول و حينما فتح الباب صعق سليمان فجأة بالمشهد الذي كان أمامه.

استقبلتهم ثلاث فتيات عاريات تماما بلا أي لباس و بأيديهن السياط و كن يرتدين أقنعة الأرانب بأذنين طويلتين و كانت فروجهن قذرة و أمرتهما إحدى الفتيات بخلع كل ملابسهما و كانت الأضواء من حولهم خليطا من الأحمر و الأبيض, و طفق هاشم يخلع ملابسه و سلم هاتفه لهن و تردد سليمان فنهرته إحداهن فاضطر للخلع و قد فارت الدماء في عروقه لمرآهن إذ تسعرت شهوته و سلم هاتفه فسخرت منه الثالثة بقولها :

ـ بيلة.. أول مرة أرى محاميا ببيلة, سأغرز هذا الهاتف في قحفليزك في المرة القادمة يا ابن العاهرة.

و التفت سليمان لهاشم فغمز له هاشم لكي يصبر و لا يرد لها جوابا.

و بدأت الثانية بجلدهما بسوط و هي تصرخ :

ـ هيا بسرعة يا ابني الشلافة.

و طفق هاشم يهرول في الممر الطويل المرخم داخلا على القاعة الكبيرة المجاورة و تبعه سليمان مهرولا بينما ركلته الثالثة على دبره.

و هنا كانت المفاجأة الثانية.

كانت التآوهات تند من كل ركن فيها إذ امتلأت القاعة بفتيات عاريات تماما و كن يلبسن أيورا صناعية و كن يولجن الأيور الصناعية في أدبار قضاة و وكلاء نيابة و محامين و ضباط من الأمن الداخلي و المخابرات الليبية و كناسة المليشيات و فقهاء مالكيين من دار سحنون للإفتاء و هي دار مالكية المذهب سحنونية الهوى تقدس المدونة الكبرى لخبيث القيروان و تدعو لاستقلال إقليم طرابلس و شعار مفتيها الدجال " أن المرأة الناشز لا يسقط حقها و أن الحضانة حق أبدي للناشز و أمها و أن ليس للأب سوى حق الزيارة يومي الخميس و الجمعة و يجب أن يكون الأب على مسافة عشرة أمتار دائما من الأولاد حتى لا يخطفهم" , و حينما حاججه أحد الآباء ذات مرة قائلا:

ـ و هل يوجد أب يخطف أولاده؟ أليس الأولاد لأبيهم؟ و كيف يبقى الأب محروما من أولاده طوال عمره؟

فقام المفتي حينئذ و أطلق نار مسدسه على ركبة الأب و هو يصرخ :

ـ و هل تفهم أكثر من أسيادك المالكية يا كلب يا طحلب؟

و التصق سليمان بالحائط مرعوبا من المشهد و تملكه الرعب من أن يفعلن به ما يراه أمامه إلا أنهن لم ينتبهن لهما فالكل كان مخمورا و بعضهن كن تحت تأثير الحبوب المهلوسة و الهيروين.

و سمعا كيتي الزوارية و هي امرأة بيضاء مثل الياسمين تلبس قناع قطة وردية و أيرا صناعيا أسود ضخما تقول:

ـ من يدخل عندنا رجلا لا بد أن يخرج بغلا.

و كاد سليمان يتبول على نفسه من شدة الرعب الذي أصابه بعد أن سمع هذه الجملة, و كانت كيتي الزوارية تعسد عبد الفتاح الجلمود و قد كومته تحتها و تُسَمَّى هذه الوضعية الجنسية عندهن بعملية التكويم.

ثم صرخت لهن :

ـ الآن اجلدن الكلاب.

فتوقفت الفتيات عن العسد و العسد هي العملية الجنسية و فيها يتم إيلاج الأير بقوة و عنف و سرعة في الفرج أو الدبر و ربما أدى هذا إلى أذى بالمعسود, و فعلا فقد كان بعض هؤلاء القضاة و الضباط ينزفون دما من أدبارهم.

كانت كيتي الزوارية لا تزال تعسد الجلمود فيما بدأ الجلد و معه بدأ صراخ هؤلاء الأنذال الذي يستأسدون على المظلومين و الآباء في ليبيا و يمزقون الأسر بقوانين العهر التي تسمى قوانين الزواج و الطلاق و يستأسدون على بقية الضعفاء في ليبيا فيعذبونهم و يهينونهم في سجونهم بسلطان دولة ليبيا العلمانية الظالمة الفاجرة فيما كانوا في حقيقتهم معسودين من قبل جماعة من العاهرات الملحدات.

و سمع سليمانُ عبدَ الفتاحِ الجلمودَ و هو يقول لكيتي بينما كان يقبل قدميها و يبكي :

ـ أرجوك يا سيدتي لا تجلديني.

فصرخت كيتي و هي تدفعه بقدمها بعنف بعيدا عنها :

ـ بل سأسلخ جلدك يا وسخ. .. ألم أقل لك أننا لا نريد الحضانة و التمكين و النفقة فقط بل نريد أيضا أن تأخذ المطلقة نصف مال الأب و أن تسجل الأولاد باسمها و أن تسجل الرجل عبدا في السجل العقاري؟ و أريد فرض اللغة الأمازيغية قانونيا كذلك, ستتمزغون رغم أنفكم يا أولاد الكلب يا رقيقن يا عرابش.

و طفقت تجلده و هو يصرخ و يتلوى تحت قدميها ثم بدأت برفسه و وطأت على وجهه ثم بصقت و تبولت بداخل فمه بعد أن فتحه.

ثم دخل عنترة الزبكي عاريا و هو المشهور بينهم بفحل المدينة القديمة و كان أسودَ ضخما طويلا (كما وصفناه سابقا) و أيره ضخم طويل جدا يتدلى أمامه كالكوبرا ثم انقض في مشهد مرعب بعد أن انتصب أيره على أحد قضاة محكمة سوق الجمعة العلمانية الفاجرة النسوية و هي أوسخ محكمة في ليبيا و قضاتها من أحقر و أوسخ و أرذل و أقذر القضاة و هم من أعداء الأب في ليبيا لأنهم لقطاء كما يبدو من دور رعاية الأيتام و أولاد الزنى.

و كوم عنترةُ القاضيَ " السوق جمعي" تحته ثم أولج أيره في دبر القاضي الذي بدأ يصرخ و دبره ينزف دما من شدة العسد.

و كاد يفقد سليمان وعيه و قد شل الرعب أطرافه.

و سمع سليمان هاشما و هو يهمس برعب في أذنه :

ـ اتبعني بسرعة قبل أن ينتبهن لنا.

و فيما كان سليمان و هاشم يبتعدان و عند وصولهما لممر يقود إلى سلم رخامي فخم صادفتهما فايزة الشارف رئيسة المجلس القومي للمرأة الليبية و هو مجلس نسوي ملحد تجمعت فيه كل فوانص ليبيا و عاهراتها و هدفه " الصيطرة على

ليبيا و تشريع قوانين وضعية جديدة تعطي المرأة حق الولاية السياسية و التشريعية و تعديل النصوص المتعلقة بحقوق الزوجة (رغم أن الهجالة تأخذ كل شيء بعد الطلاق) و إنشاء كتائب مسلحة لحماية النساء في المؤسسات الحكومية أي إنشاء مليشيات للبلطجة و النهب إسوة ببقية الأحزاب السياسية و العصابات و الأقليات القومية المنتشرة في طول البلاد و عرضها".

و كانت فايزة عارية تماما بفرجها ذي الشعر الكثيف و لما رأت هاشما قالت له:

- كيف حالك يا هاشم؟

- الحمد لله يا سيدتي.

فقالت له الملحدة:

- الله شنو؟ ... العفو... هل آمنت بالوهم مجددا؟

و طفقا يضحكان و إذا بها تلتفت إلى سليمان فتشير إليه قائلة:

- من هذا البولحية ؟ هل عسدوه أم لا؟

فأجابها سليمان بينا كان هاشم يبصر نحوه بذهول:

- بالطبع عسدوني منذ المرة الماضية و هل يدخل هنا أحد رجلا إلا و يخرج بغلا؟

ثم انقض عليها و اغتصبها بينما كانت تصرخ :

ـ وووه عليّ.

و حينها هرعت إليها بضع فتيات عاريات و حاولن جبذ سليمان بينما كان يقبلها بجنون و يمص ثدييها الكبيرين إلا أنها أشارت لهن بتركه بعد أن بدأت تستمتع بعنفه فبدأت بالتآوه لذةً و كانت شهوته قد تسعرت بسبب الحرمان الطويل في سجون الخبيث القذافي "محرر المرأة من طاعة زوجها" و من بعده في سجون فبراير اللعينة و بما رآه في هذا المخبث من فواحش فعسب بفايزة و العسب هو جودة النكاح.

و تركها سليمان غارقة في عرقها و إرهاقها بعد أن تدفق منيه في فرجها و أسرع هو و هاشم لصعود السلم إلى طابق آخر.

و حينما كانا يصعدان السلم انقض سليمان بغتة على هاشم و ألصقه على الحائط و همس له غاضبا :

ـ هل ...

و لم يكمل الجملة إلا أن هاشما فهمه فأعرض بوجهه و قد غشاه الحزن و همس :

ـ نعم .. عسدوني... أوقعنني في مصيدتهن ثم فعلن بي ذلك .. فكل ما يجري هنا مسجل بالصورة و الصوت و هذه هي المشكلة و نحن منذ فترة طويلة نتعرض

للابتزاز بل صرنا تحت صيطرتهن و صارت مطالبهن تتكاثر بل وصلت إلى مستويات غير عقلانية لا يمكن القبول بها.

صمت كلاهما و وصلا إلى الطابق الثاني و هناك شاهدا جماعة من القضاة و وكلاء النيابة يغتصبون أطفالا ذكورا و إناثا لا تتجاوز أعمارهم عشر سنوات و كان الأطفال مربوطين إلى مقاعد و أفواههم مكممة.

و كانت عضوات المجلس القومي للمرأة الليبية هن اللائي يشرفن على ما يجري فكن قائمات حول المقاعد يراقبن و يصورن ما يجري.

قصته آتية مستقبلا) و هو من لقطاء الطلاق و أمه هجالة قذرة و حُرم أبوه من رؤيته نهائيا بعد أن حاول التقاطه من أمام المدرسة ليهرب به.

و التفت سليمان لهاشم و لم يلفظ بحرف واحد ثم انصرفا هابطين من سلالم الخروج و استقبلتهما مسئولة الخروج في الجهة الأخرى من المنزل و كانت عارية أيضا و أدخلتهما إلى قاعة ضخمة استقر في نهايتها صنم حجري ضخم طوله أربعة أمتار لامرأة ينستر وجهها خلف النقاب و تلبس فستانا طويلا و حذاء ذا كعب عالٍ فتقدمت مسئولة الخروج فتبعاها.

و رأى سليمان المسئولة و هاشما يسجدانِ للصنم فلم يفهم و لم يسجد مثلهما.

و رأي عن شماله أحد فقهاء دار سحنون للإفتاء ساجدا للصنم و عضوة من المجلس القومي للمرأة الليبية تدوس على رأسه بينا كان يقول مسبحا " الحضانة الأبدية للأم و أمها أيتها الإلاهة جابوت".

و لما قاما التفتت مسئولة الخروج إلى سليمان ثم قالت لهاشم :

ـ لم لم يسجد هذا الحيوان للإلاهة ؟ أهذه أول مرة له؟

فأسرع هاشم قائلا :

ـ لا لا.. ربما لم ينتبه بسبب الحبوب المخدرة.

ثم قال لسليمان و هو يجره من يده:

ـ اسجد للإلاهة جابوت يا خالي.

و سجد سليمان لصنم المرأة التي يسمونها بجابوت ..." من جابوت هذه؟ و ما هذه الألغاز التي تترا ؟ ...كراهية القزم للآباء .. المهدي المنتظر .. جابوت .. المطلب الثاني للنائب العام " و شعر بقدم المسئولة و هي تطأ على رأسه و تقول:

ـ إذا لم تسجد للإلاهة في المرة القادمة فسوف أقطع أيرك يا بغل.

ثم خرجا.

ـ 8 ـ

و مرت أيام.

و عزم سليمان بعد أن تبخر أثر حواره مع المهدي المنتظر على تنفيذ ما عزم عليه.

و ظل لأيام يتسكع في شوارع المدينة القديمة حتى رأى مغربية شارع الدباغ مرة أخرى.

و تبعها من شارع كوشة الصفار حتى دخلت زنقة باي بنغازي التي كانت خالية من عابري السبيل في ذلك الصباح, ثم ناداها فالتفتت إليه و ابتسمت حين تذكرته.

قال سليمان:

ـ السلام عليكم.

فردت:

ـ و عليكم السلام يا شيخ.

ـ كيف حالك؟

ـ بخير ... في نعمة من الله و فضل و ربك الستار .. الرزق و الخير كثيران.

ـ كنت أريد أن أسألك إن كنت تعرفين امرأة تقوم بتنظيف المنازل بالأجرة فمنزلي يحتاج للتنظيف و لا صحة بي كي أنظفه.

و ابتسمت المغربية بمكر ثم قالت:

ـ أعرف يا سيدنا الشيخ, و لكن أجرتها غالية بعض الشيء.

ـ كم دينارا؟ و أرجو منها أن تساعدنا قليلا فالأحوال مستورة, نعم, و لكن الدنانير تنزف باستمرار من جيوبنا.

ـ مائة دينار.

و صمت سليمان قليلا متظاهرا بالتفكير و لم يكن يعاني من نقص من المال في هذه المدة فحلومة كانت تعطيه ما يزيد عن حاجته ثم قال:

ـ موافق رغم أن المبلغ كبير قليلا, فما أعرفه أن المنظفات يعملن بأربعين.

ـ أربعون؟ الأربعون لا تشتري سمكة فروج, عيب يا شيخ, متى آتيك و أين بيتك؟

ـ الخميس القادم و أما موقع البيت فاتبعيني إلى زنقة سوق الحرارة.

و مضي ماشيا و حينما همت باللحاق به ظهر من خلفها رمضان الورفلي بمعطفه الأسود الطويل و شنته السوداء على رأسه و أعوامه الستين و سمعته يقول لها :

ـ كيف حالك يا حاجة بريكة؟

فالتفتت إليه ثم قالت :

ـ أهلا يا عمي رمضان.

و أشار رمضان إلى سليمان الذي كان قد ابتعد ثم قال :

ـ من هذا الشيخ؟

التفتت و بدأت بالمشي و قالت:

ـ ساكن جديد يريد تنظيف بيته.

ثم أردفت :

ـ ألم تجد لي بيتا رخيصا للإيجار بعد؟

ـ لا.... ربي يسهل و سوف أعثر عليه.

فقالت بريكة المغربية (و هي تبتعد أكثر و لم تلتفت إليه) :

ـ على أساس أنك سمسار قديم و تعرف كل الدنيا فكيف أَعْجَزَكَ بيت في المدينة القديمة؟

و ابتعدت عنه تجاه سليمان الذي كان قد اختفى عن أعينهما فلم تسمع جوابه و في تلك اللحظة مر المدخلي البصاص بجانبهما سريعا تجاه حومة غريان.

و جاء الخميس.

و جاءت بريكة المغربية و دخلت منزل عائلة الكبير في زنقة القاز المظلمة في طريقها إلى آخر ساعة لها في الدنيا.

و كانت أرض دهليز البيت ترابا و الحيطان طينية قديمة و رأت أعمدة ملقاة على الأرض بعضها من خشب و بعضها من معدن و دراجات قديمة و جوالق فيها تراب و حجارة و كناسة.

و جرت عدة فئران هاربة من سبب فتح الباب بينما كان يجري على السقف شبرص و هو ما يسميه العامة بأبي بريص.

و أشارت بريكة و هي تدخل إلى كل هؤلاء و قالت ضاحكة:

ـ هذا يحتاج إلى شركة نظافة و ليس إلى امرأة مسكينة مثلي.

و ابتسم سليمان.

" مسكينة ... الآن ستأتيك السكينة يا شلافة".

و أغلق الباب وراءها.

؟؟؟؟: " حُرْ عنيَ."

التفت سليمان من حوله ثم سأل بريكة :

ـ هل قلت شيئا؟

فأجابت بريكة :

ـ لم أقل شيئا, سلامة سمعك يا أيها الحبيب.

؟؟؟؟: " لا تُلْكِئْهَا .. حُرْ عَنِّيَ."

التفت محاولا معرفة جهة ما سمع و هز رأسه و ظن أنه تأثير الخمر فظل للحظات يقف متسمعا حتى اطمئن.

و بمجرد أن خطت بريكة بضع خطوات بداخل البيت و إذا بضربة عنيفة من عمود معدني أفقدتها وعيها على الفور.

لم تعِ كم ساعة من الزمان ظلت فاقدة للوعي لكنها حين استيقظت كانت عارية و مكممة الفم و مربوطة على طاولة في غرفة طينية الجدران ترابية الأرض ترتع في سقفها الخشبي الشبارص و على بعد متر واحد منها كانت حفرة يقترب عمقها من أربعة أمتار.

و سمعت سليمان يقول :

ـ انتظرتك ساعة حتى استعدت وعيك .. مرحبا بك في يوم القيامة, الآن هو حسابك.

و كان يتجرع الخمر من زجاجة خمر فخمة و سمعته يقول و هو يخرج مذكرة صغيرة من جيبه:

ـ هذا هو قانون الكون الحقيقي... المادة رقم 1 .. نحن سليمان الكبير الرب الأعلى للكون و نحن مَنْ نشرع و نقرر مصائر غيرنا.

و لم تستوعب ما قاله.

ثم صمت قليلا و هو يتجرع الخمر و حاولت الصراخ فلم تستطع بسبب التكميم و حاولت الحركة بعنف لتقلب الطاولة فجلدها سليمان بأنبوب بلاستيكي صلب حتى صرخت و لكن الصرخة كانت مكتومة و ظلت تتآوه و تحاول الحركة و شعرت بالجلد على ظهرها بالأنبوب مرة أخرى و ظلت تحاول الصراخ بلا فائدة و مشى سليمان إلى وجهها ثم أطل على عينيها قائلا:

ـ سأسلخ جلدك إذا حاولت الحركة و لكن بشيء آخر في المرة القادمة.

ثم تناول سكينا من الأرض و قال لها :

ـ بهذا.

و اقترب من كتفها ثم بدأ بسلخ قطعة صغيرة جلدها و كانت بريكة تضطرب من الألم و الفزع و صوتها مكتوم.

ثم انتزع سليمان قطعة الجلد بلحمتها و أراها إياها قائلا :

هذا تحذير, فاصمتي لأن الله لا يوجد هنا, فمهما صرخت فلن تنقذك الأوهام.. و لا أحد من القرود المتطورة سيسمعك.

و صمتت و دموعها تذرف.

و حملق نحو عينيها مباشرة و هو يقول :

لا يوجد الله, هل تفهمين؟ .. أنا ربك الآن و مصيرك بيدي أيتها العاهرة.

و أحس بالرهبة و الاختناق مما يفعل فخرج من الغرفة ثم من البيت و وقف أمام مدخل الزنقة يحاول التقاط أنفاسه و إذا بسمية تلك الصبية الحسناء (التي تبلغ من العمر عشر سنوات و اسمها الكامل سمية هُنَيكة) تتقدم من بعيد وحيدة.

لم يصدق عينيه و شعر بأنها هدية جاءت من رحم المصادفات.

و خفق قلبه و تلتف يمينا و شمالا و كان المكان خاليا من البشر و لما حاذته ثم تجاوزته بقاب قوسين أو أدنى انقض عليها من الخلف و أحاط عنقها بعضده و ساعده و كمم فمها بيده حتى لا تصرخ إلا أن صرختها أفلتت فَجَرَّها بسرعة لداخل البيت و ظل يضغط بكل قوته على جانبي عنقها حتى فقدت وعيها و لم يتوقف عن العصر و الضغط القوي إلا بعد عشر دقائق.

و هرول ليغلق الباب بلطف و ظل يتصنت من خلفه و ما هي إلا دقائق أخرى حتى سمع أصوات بعض الناس و هم يتحدثون من بعيد و لم يكن الكلام مفهوما ثم خرج جيرانه مستفسرين فتبين ما يقولون إذ كانوا يتساءلون عن الصرخة.

و انصرفوا بعد دقائق إذ قال أحدهم :

ـ يبدو أن أحد الأطفال خاف من كلب أو قط أو من فتحي إميمة.

فطفقوا يضحكون.

فعاد و حمل جسد سمية إلى الغرفة و وضعه أمام بريكة التي بدأت تصرخ صراخا مكتوما و هي ترى سليمان يمزق ملابس سمية حتى تركها عارية تماما فكانت تمثالا من جمال و حُسْن ملقى على الأرض.

و خلع سليمان كل ملابسه حتى صار عاريا هو الآخر و بدأ يقبل شفتي سمية, و بريكة تصدر صرخات مكتومة و قد جحظت عيناها من الرعب غير مصدقة ما يجري و هي ترى سليمان يلحس و يقبل كل سنتيمتر من جسد سمية ثم التقم سليمان شفتي سمية الحمراوين و مصهما بعنف و قال لبريكة :

ـ لقد ماتت.

ثم أولج أيره في فرج سمية و بدأ ينكحها بقوة و عنف و قَلَبَ جثتها ثم لحس دبر سمية حتى فتحة الشرج نفسها ثم أولج أيره في فتحة شرجها حتى أمنى و تآوه من اللذة.

ثم قام و قال:

ـ المادة رقم 2 ... لا وجود إلا للذة أو الحرمان في هذا العالم... المادة رقم 3 ... لا وجود لشيء اسمه الأخلاق الطيبة أو الضمير أو الله ..فهم أفيون .. هذا ثالوث غير مقدس اخترعه أغنياء العالم و جبابرته لتخدير الفقراء و المحرومين و قمعهم و خداعهم .. المادة رقم 4 ... الحياة مرة فاستمتع بكل لذة فيها ما دمت مستطيعا و مختفيا عن أعين الأقوياء و الأغنياء و الجبابرة المخادعين.

و أتى بكانون كبير فيه جمر يتقد فجن جنون بريكة المغربية و بدأت بالصراخ المكتوم و حاولت الحركة و لكن بلا فائدة فالطاولة كانت ثابتة و الربط كان قويا و التكميم كان محكما فبدأت تبكي.

و وضع سليمان أسياخ من حديد على الجمر و عاد إلى جثة سمية و بدأ بتقبيلها و مص ثدييها الصغيرين ثم قبل فرجها و لحسه و عينا بريكة تححظان غير مصدقة ما يجري ... و حاولت بريكة أن تقول " يا الله يا الله".

و فهمها سليمان فالتفت إليها ثم قال :

ـ لا يوجد الله في الكون ألا تفهمين أيتها الغبية؟ ... أنا الموجود و أنا ربك الآن.

و قام إليها ملتقطا سيخا محمرا ثم كواها به و هي تصرخ صراخا مكتوما بجنون و ظل يكويها و يكويها و هي تتعذب و صراخها المكتوم لا يجاوز الغرفة و هو يقول :

ـ أين الله يا عاهرة ... أين قانون الكلاب الوضعي الذي خدعونا به ... أين علم الأخلاق يا فروخ الكلب ... كلاب كذبة خونة ... اخترعوا كل هذه الأشياء لكي يستمتعوا هم فقط و يظل بقيتنا في الحرمان الأبدي ... و لكني لست بمغفل مثل بقية الملاحدة .. لست غبيا ... لقد توصلت إلى الحقيقة المطلقة و هي أن الخير هو أي شيء يجلب للمرء اللذة و المتعة و السعادة مهما كانت ماهيته و أن الشر هو أي شيء يسبب للمرء الألم و الحزن مهما كانت كينونته.

و ظل يكويها بلا رحمة و هي تئن بشدة و تبكي ثم قال:

ـ و أنا الآن في منتهى السعادة و اللذة.

ثم مشى نحو جثة سمية و جذبها من قدمها و قبل أن يرمي سمية في الحفرة هوى مقبلا قدم سمية قائلا :

ـ قدم رائعة الجمال.

و قبل كل ذرة في قدم سمية ثم رمى الجثة في الحفرة و غُشِيَ على بريكة المغربية من الرعب و الفزع و الألم.

ثم عاد إلى بريكة و اغتصبها من دبرها بقوة و عنف حتى مزق دبرها و سالت دماء فتحة شرجها ثم أدخل سيخا محمرا في دبرها و قال:

ـ على أيري كل القوانين الإنسانية و كل كلاب العلمانية و التطور و الأديان, يلعن شرفكم يا زبالة الأرض.. أأبقى محروما من أجل تنظيركم الغبي؟

ثم التقط سليمان السكين مرة أخرى و ذبح بريكة ليجري دمها نحو الحفرة.

و شعر بلذة لما فعل .. بل شعر بالقوة و أدرك الآن أنه تحرر و صار إلاهًا لا رب آخر عليه و بصق على كل القوانين الوضعية العلمانية في الأرض.

بصق على الفكر العلماني و الإلحاد الأخلاقي و على كل ملحد و علماني.

"كناسة ... كلاب ... كذابون .. مخادعون.. أيري على ريتشارد دوكِنز و داروين و ماركس ... لا سيد علي إلا نفسي فلا قانون وضعيا و لا سماويا .. لقد تحررت اليوم ... أيري على كل البشر و على رأسهم ملاحدة الغرب و الشرق المخادعون ... هذا هو الإلحاد الحقيقي .. بلا أخلاق بلا بطيخ مبسمر".

و انتظر حتى تأكد من موت بريكة المغربية ثم رمى جثتها على جثة سمية و ردمهما معا.

و جلس عاريا على الأرض و قد هده الإرهاق العصبي و النفسي.

و التهم دجاجة مشوية و شرب قارورة خمر أخرى.

" يا أولاد الحرام .. يا خنازير .. كذابون .. أي أخلاق طيبة و أي ضمير يا كناسة العالمين ..."

ثم صمت قليلا و صورة طليقته تمر في باله و قال:

- الويل لك .. أقسم بأن أقتلك أنت و أمك أقبح قتلة و معكما القاضي الذي حكم لك بالحضانة و كما حرمني من ابنتي سأحرمه من حياته.

و ذهب إلى فراشه مرهقا مع اقتراب الفجر بعد أن أتم إخفاء معالم ما اقترف... " أين الله أيها المهدي المنتظر؟ لم لم يمنعني؟" ... " طال الزمان أم قصر .. سوف أتذكرك" .... و نام.

و كان هذا في شهر ربيع الأول سنة 1445 هجرية.

الفصل الثالث

الثلاثاء, 25 جمادى الآخرة 1445 هـ – صباحا

" ما هذا ؟" ..." نواح و صراخ في الزنقة"..." ما الذي يجري؟" .. استيقظ ناصر النابولي من نومه فزعا من سبب هذا الصراخ و النواح.

و ناصر شاب في الثانية و العشرين من سني عمره, أبيض وسيم الملامح رشيق الجسد, ذو شعر ضارب إلى الصفرة بسبب أصوله الإيطالية التي تعود إلى مدينة نابولي و جده هو النابولي الكبير المشهور بقول الناس " هل تظن أن لدي مالية النابولي؟" و هو مثل يُضرب للدلالة على سعة مُلك و غني النابولي و فقر الشخص المتكلم.

(و يحيى النابولي و هو أول من أسلم من هذه الأسرة كان يمتلك ربع المدينة القديمة و ربع أرض حي الأندلس في المساحة الممتدة من قاعة الشعب حتى جسر العمال و من البحر حتى قرجي, و قرجي بأكملها كانت له إذ اشتراها والده من الحكومة الإيطالية التي حربتها من الدولة العثمانية.

و قد تم وضع ثروة النابولي تحت الحراسة مع بداية حركة سبتمبر بقوانين سنة 1973 م ثم صودرت فصارت من أملاك الجمهورية العربية الليبية ثم الجماهيرية).

كأن القيامة قامت في زنقة سوق الحرارة, صوت ضرب على البراميل و نساء يصرخن:

ـ وووه عليا ووووه .. ووووه عليا ووووه.

خرج ناصر إلى الشارع بسرعة و هو يرتدي حذاءه المطاطي فرأى أم كوكو تمزق ملابسها, و أخوات كوكو في صيحة واحدة :

ـ وووووه عليا ووووه , ووووه عليا وووووه.

و هم عائلة حامية, و الحاميون هو اللفظ الأدبي للدلالة على السود.

و بان ثديا أم كوكو الكبيران فيما كانت أخواته الصغيرات يضربن بالعصي على برميل ضخم أمام مدخل زنقة القاز, و كان بيت ناصر عند مدخل زنقة سوق الحرارة عند القوس من جهة شارع جامع محمود.

و اجتمع الجيران حولهم بين معزٍ و متسائل:

ـ ما الأمر؟

فأجاب أحدهم :

ـ وجدوا ابنها كوكو ميتا في زنقة النساء قرب طريق الحلقة.

و لكن الأمر لم ينتهي عند كوكو فقط (و كوكو غلام و هو صديق السنونو و النونو ابني عمة المقداد).

فبينما كان يتابع مشهد أهل كوكو مر أمامه حاميون آخرون و كانوا يهرولون فأمسك بشاب منهم و كان يعرفه قائلا :

ـ ما الأمر يا شيرو؟

قال شيرو و هو يلهث منفعلا:

ـ لقد عثروا على عنترة الزبكي مقتولا في خرابة زنقة كفالة.

و تركه شيرو و إذا بجمع رهيب من المليشيات يتقدمون مبرقعين بسرعة و هم يحيطون بقزم أدلم ذي باروكة تصل إلى كتفيه يرتدي معطفا أنيقا فارتعب ناصر و التصق بالحائط هو و غيره من أهل الزنقة و رأى القزمَ يدخل زنقة القاز بعد أن أزاح الجنود أم كوكو ببراميلها ثم رءاهم يكسرون باب بيت آل الكبير.

" هل حدث شيء لعمي سليمان؟", مرت الخاطرة في بال ناصر.

و دخل النائب العام وحيدا و معه اثنان من حراسه و أمر الباقين بالانتظار خارجا.

ثم أمر حارسيه بالانتظار في الوصيد.

و اتصل القزم بسليمان فإذا بالهاتف يرن فتبع الصوت و خرج إلى فناء البيت الداخلي و إذا بجثة سليمان ملقاة على التراب و بها طعنات كثيرة و في زاوية الفناء كانت حفرة صغيرة فبهت القزم مما رأى.

و اندفع يفتش جثة سليمان فلم يجد فيها شيئا إلا هاتف سليمان السامسونج فأخذه ثم دار على عقبيه و اندفع يفتش الغرف الداخلية حتى عثر على غرفة نوم سليمان و حين فتشها وجد حقيبة صغيرة و لم يجد شيئا آخر , فأخذ الحقيبة.

و كأنه تذكر شيئا فعاد مهرولا إلى المطبخ فالتقط سكينا حادا ثم عاد إلى جثة سليمان و قطع إبهام سليمان ثم وضع السكين و الإبهام في كيس , ثم خرج من البيت و أمر بعض رجاله بحراسة المكان حتى يصل الذين سيحملون الجثة.

و مضى ناصر و قد اضطرب جنانه من كل ما سمع و رأى, و حينما عرج في شارع جامع محمود سمع نواحا آخر, فجرى بسرعة نحو زنقة الحطاب و حينما سأل أُجيب بأن الناس عثروا على سعيد الشامخ (و هو المدخلي البصاص الذي وشى على سليمان في جامع السنوسية) ميتا بطلقات نارية في زنقة صغيرة مهجورة.

و لما عاد النائب العام إلى مكتبه تلقى اتصالا هاتفيا من عبد الفتاح الجلمود يسأل فيه عما حدث في المدينة القديمة , فقال له القزم:

ـ الذي حدث اليوم مجزرة لا ندري من وراءها.. أربع جثث .. عبد مراهق يسمونه كوكو و هذا هو الأول .. و القتيل الثاني هو الشنفاك فرخ الحرام عنترة الزُّبْكي .. و الثالث مخبر يتبع قوة أبرار الخاصة التي تصيطر على المدينة القديمة.

ثم التقط القزم أنفاسه و قال:

ـ و الرابع هو سليمان الكبير.

و صرخ عبد الفتاح الجلمود :

ـ سليمان؟

ثم منفعلا بعد صمت :

ـ ما الذي يجري ؟

قال القزم :

ـ يجب أن نلتقي.

و سأله الجلمود:

ـ متى؟

فأجابه القزم العام :

ـ الليلة.

ثم أردف :

ـ لا تقلق, لقد رقعت موضوع سليمان و أغلقنا التحقيق و سيقيد ضد مجهول فليس لدينا متسع من الزمن لضجة لا فائدة منها, أيًّا كان من قتله فلا يهمنا, و مفتاح العملية كلها و هم عائلة النابولي سيتعامل معهم هاشم حين يخرج من المستشفى.

عقب عبد الفتاح بقوله:

ـ الحمد لله أن هاشما لم يمت في محاولة الاغتيال تلك.

ـ و لكن الذين حاولوا قتله لا يزالون طلقاء بل أقوياء و لديهم خلايا في كل مكان و قد صدقت ظنون سليمان حين حذرنا فلم نستمع لقوله.

الأربعاء, 26 جمادى الآخرة 1445 هـ

لم يمر على ناصر النابولي أسوأ من هذا اليوم في حياته, فقد استيقظ مكتئبا بعد أن سمع أمس خبر موت سليمان الكبير, " ضاعت كل أحلامي".

و خرج من بيتهم في الصباح الباكر يهيم و يتسكع من دون غاية و لا هدف.

مرّ على شوارع ابن الرومي حيث محلات جملة الملابس ثم شارع الكندي و السويحلي حيث محلات الإلكترونيات و ابتلع ريقه أمام صناديق البلايستيشن 5 و أقسم أن يشتري لكل معارفه من الصبيان و الغلمان واحدا لكل منهم إذا رزقه الله , ثم تقدم تجاه الساحة الخضراء أو ميدان الشهداء أو ساحة الحمام حسب موقعك و تحزبك السياسي في الساحة الليبية.

" هل قدر علينا البقاء في هذا الفقر إلى الأبد؟"

لم يكن لهم من دخل سوى مرتب المتقاعدين صحيا الذي تتناوله أمه و مرتب عمه من التضامن الاجتماعي, و عمه يعيش معهم في نفس البيت.

و عمه رجل صالح يحب المساجد و المصاحف, أبله لا طموح لديه إلا أن يزور مكة المكرمة حرسها الله و المدينة المنورة على دفينها أفضل الصلاة و السلام.

و أما أمه فهي من أصل إيطالي أيضا و قد رفضت العودة إلى إيطاليا و عاشت دهرا كمدرسة ثم تقاعدت صحيا و هي امرأة طيبة ذات خير و صمدت في ليبيا رجاءِ استعادة أملاك العائلة.

و لغتا المنزل عندهم هما العربية و الإيطالية فثلاثتهم يتكلمون الإيطالية لكيلا ينساها أحد منهم لكنهم يعتبرون أنفسهم عربا و يفخرون بإسلامهم و عروبتهم, فاللغة العربية عندهم لغة مقدسة لا تتقدم عليها لغة أخرى.

و أما هو .. ناصر .. سليل النابولي الكبير فهو " صايع ضايع"كما يقال .. كان طيبا في أساسه و لكن مع تقدم العمر صار يتذبذب بين الخير و الشر و بين الطيبة و الخباثة .. حشاش معاقر للخمر و مدمن على الزنى بعاهرات المجتمع المدني اللائي يجتمعن في وسعاية الكنيسة و يسمونها بساحة السيدة مريم العذراء و تلك الوسعاية هي عاصمة العلمانيين و مثقفي الفول المدمس و المتعالمين و قوم لوط و الملاحدة و السياح من كل لون و نوع.

و رأس ماله جماله و شبابه.. يعيش عالة على أمه و عمه و على كاريلو يمتلكه عند محلات الملابس إذ يعمل به بنفسه أو يؤجره لصبيان و غلمان المدينة القديمة أو للمصريين.

و أحيانا كان يسرق الهواتف من الباعة المتجولين برفقة عصابات الصبيان و الغلمان الذين يعيشون في المدينة القديمة و يتقوت بعضهم بسبب فقرهم على ممارسة فاحشة قوم لوط أو السرقة و على رأس هؤلاء كوكو و النونو أخو السنونو.

و النونو خناب خسيس من الدرجة الأولى و لا يتردد حتى عن سرقة أولي أرحامه إذ سرق خاتم خالته ذات مرة و ظنت المرأة أنه ضاع منها و تطوع النونو حينها للبحث عن الخاتم ليوم كامل برفقة أحد أبنائها.

و لم يكن النونو مصاحب ناصر و إنما كان النونو معرفة و زميلا يستعين به عند التخطيط لسرقة الباعة المتجولين أو الزنى بفتيات منظمات المجتمع المدني و الأوروبيات, و قد زنيا ذات مرة بأميركية كانت تعمل في الأمم المتحدة في خرابة في الزنقة الضيقة قرب قوس أوريليوس.

و ليس الباعة المتجولون بأحسن حالا من ناصر و النونو, فبعضٌ منهم لصوص و فاحشون من قوم لوط و شنافر و حشاشون و باعة حشيش و خمور سرا.

و لكن سرقات ناصر كانت قليلة و كانت تقع حين الضرورة و حالات الإفلاس الشديدة و حين الحاجة لاشتراء الحشيش و الخمر على عكس النونو الذي كان خنابا خسيسا حذرا لا يتردد عن السرقة في حال غفلة العيون فكان يسرق كل شيء و أي شيء و لم يقع النونو لهذا السبب في قبضة الشرطة أبدا.

و الشرطة في ليبيا على أي حال ما هي إلا جماعات من أهل الحرابة و السرقة أيضا, فالنونو يُعتبر ملاكا مقارنة بهم.

و كان النونو قد تعلم السرقة من شيخ كبير قضى عمره بين السرقة و السجون و لعب الورق (لعبة الكحلة التي تنتشر في المدينة القديمة و سنأتي على شرحها لاحقا), و قد قال له ذلك الشيخ ذات مرة :

ـ أي شيء له زبونه يا نونو, لذا اسرق أي شيء حين تغفل عين حارسه و أهم شيئين هما غفلة الحارس و الظلام, إن الظلام هو سيدنا يا نونو كما أن محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم هو سيد الأنبئاء و المسلمين.

و قد علمه و نصحه بأشياء أخرى لن نذكرها الآن بل سنذكرها مستقبلا.

(و الشيخ هو الرجل كبير السن و العجوز هي المرأة كبيرة السن, قالت امرأة إبراهيم عليه السلام " يا ويلتي, أألدُ و أنا عجوزٌ" و قالت عن إبراهيم بأنه شيخ... لكن العامة يستعملون كلمة شيخ للدلالة على الفقيه و طالب العلم الشرعي و المتدين).

و شعر ناصر بالجوع فمر على محل يبيع الكشري في شارع الوادي و اشترى منه حافظة بستة دنانير و جلس ليأكلها في أحد شوارع بلخير العتيقة و بلخير شبيهة بالمدينة القديمة إلا أن شوارعها أوسع قليلا منها.

ثم قام بعد أن رمى بقية الكشري في الشارع, و مر على مكتبة و اشترى مجلة ماجد بخمسة دنانير فلم يبق في جيبه سوى دينار واحد فأحس بالقهر و العجز.

و طفق يتسكع حتى وصل إلى مقبرة منيذر فدخلها و غاص في أدغالها المكونة من السرول و الخروع و الأعشاب و الأشجار و حول بقعة الأدغال تلك كان بحر من القبور لا أرف له إذ امتدت القبور إلى الأفق.

و مشى إلى قبر جده النابولي الكبير و قرأ عليه الفاتحة ثم دعا اللهَ أن يهديه إلى كنوز النابولي الكبير المدفونة في مكان ما بالمدينة القديمة.

و جلس يبصر نحو دلوك الشمس إذ اقتربت من الأفق لتغرب و طفق يبحث عن فضولي في مجلة ماجد و يقرأ صفحاتها فصادفه سؤال :

ـ ما طموحك في المستقبل؟

فأجاب في نفسه " أن أجد كنوز جدي النابولي الكبير".

و التفت فرأى فراشات زرقاء تطير فتعجب منها فقد كانت غاية في الحسن و كلما اقترب الشفق و حل الظلام كانت تتألق بضوء بين أزرق و بنفسجي فتبعها بين القبور نحو مغرب الشمس.

و رأى أربعة رجال يقفون فاقترب منهم.

كان الأول هو رجل الألغاز و كان يلبس رأس فيل متقن الصنع من البلاستيك و النسيج و قميصا و سروالا أبيضين مرسوم عليهما علامات الاستفهام و أما حذاؤه فقد كان أخضر اللون ضخما.

و قال له رجل الألغاز:

ـ فنان يعيش في البحر, فما هو؟

و أما الثاني فكان رجلا حزينا و كان يبيع أمامه نسخا من كتاب " مأساة الأب في ليبيا و ظاهرة موت الأب في العالم العربي" و حين اقترب منه ناصر قال له الرجل من دون تمهيد و لا مقدمات:

ـ أنا أبٌ دمرني القضاء الليبي, أفنيت عمري لبناء منزلي ثم لادخار المال لأتزوج و في النهاية فقدت كل شيء.. فقدت أولادي إذ حربتهم الناشز مني بقوانين هدى بن عامر للزواج و الطلاق فهم مخطوفون و أنا ممنوع من رؤيتهم ... و بيتي الذي استفرغت لأجله عمري إذ حربته مني بالتمكين في بيت الزوجية.. و خسرت مالي في المحاكم بين النفقات و أجور المحامين و المكوس ... فاحذر من الزواج في ليبيا يا بني.

و أما الثالث فكان قرّادًا برفقة قرده (و القرّاد هو سائس القرود), و لما رأى ناصرا قال له بابتسامة:

ـ أعطني خمسة دنانير و سوف ترى استعراضا عجيبا.

فأخرج ناصر من جيبه الدينار الأخير و قال له:

ـ هذا آخر دينار لدي.

فقبله القرّاد و أمر قرده قائلا:

ـ أرِهِ تحية جمال عبد الناصر.

فانتصب القرد قائما بطريقة تثير الإعجاب ثم أدى التحية العسكرية فابتسم ناصر.

ثم قال القراد :

ـ قلد موشيه ديان.

فقام القرد على أطرافه الأربعة ثم رفع دبره تجاه ناصر و قام بأداء حركة عجين الفلاحة فضحك ناصر و القرّاد و حاول الأب الحزين الضحك فلم يسطعه.

ثم قال القراد للقرد:

ـ قلد قاضيًا ليبيًا.

فانطلق القرد يضرب الأب الحزين ثم تبول عليه فقام الأب الحزين طاردا القردَ و هو يصرخ و ينهر القراد.

و التفت ناصر فرأى على مبعدة منهم الرابع و هو بائع فول مطبوخ فذهب إليه و ما أن وصل إليه حتى أعطاه بائع الفول بعضا من الفول بالملح و كمون الحوت و قال :

ـ هذه صدقة لوجه الله تعالى.. الله المستعان.. لقد خربت المليشيات بيوتنا , كنا نسترزق في دوار سوق الثلاثاء كل يوم جمعة و كان الناس سعداء بالسوق و بكل ما فيه من بضائع و طيور و دواب و الخ.. لكن أبي الطاغون إلا طردنا.

و طفق ناصر يأكل الفول و هو يمشي بين القبور و إذا بشيخ أشقر أزرق أبيض اللحية طويلها يلبس عمامة خضراء و جلبابا أبيض يقف أمامه (و هو العارف بالله تقي الدين التركماني) و قال له الشيخ و هو يشير إلى الأفق:

ـ تعال إلى المقبرة في النصف من رجب ثم اذهب إلى زاويتي.

و رأى ناصر مبنى مكعبا صغيرا مساحته 20 مترا مربعا عليه قبة خضراء عند الأفق , و حينما التفت كان الخمسة قد اختفوا جميعا و كان الأفق قد ابتلع ضوء الشمس تماما.

الخميس, 27 جمادى الآخرة 1445 هـ, صباحا

انتظر ثلاثتهم في ذلك الصباح الباكر أمام شاطئ البحر عند ذلك الجزء الذي كان لا يزال في طور الإنشاء في طريق الكورنيش الجديد في حي الأندلس.

السنونو و النونو و معهما كلب من كلاب المليشيات.

قال السنونو لكلب المليشيات:

ـ لقد تأخر الحاج.

و لم يرد الكلب المليشياوي و مرت عشر دقائق أخرى ثم رأوا رتل الحرباء يقترب منهم.

و اندفعت لبوة الحرباء تجاههم و هي تثير عاصفة من التراب لتقف على بعد أمتار قليلة منهم بينما وقف بقية الرتل عند مسافة من موضعهم.

و نزل الحرباء و معه مجرم ضخم من مجرميه و اقترب بخطوات واثقة من السنونو و النونو فيما ابتعد الكلب المليشياوي و انطلق يجري على يديه و رجليه بعد أن أشار له الحرباء بالانصراف.

قال الحرباء:

ـ كيف الحال يا سنونو؟ سمعت الكثير عنك و عن شعبيتك الجارفة في المدينة.

كان السنونو طويلا, أسمر اللون, طويل الشعر, وسيم الملامح و كان يلبس قلنسوة البيسبول و يبلغ من العمر 19 سنة بينا كان أخوه النونو أبيض نحيفا حاد الملامح كالثعلب قصير القامة و يبلغ من العمر 17 سنة و كانت صفحة وجهه تشبه صفحة وجه أخيه السنونو.

قال السنونو:

ـ الحمد لله, ربي يطول في عمرك يا حاج.

قال الحرباء:

ـ أعرف أنك لا تعمل في الجيش و لا في الأمن و لهذا اخترتكما لما أريده و المكافأة ستكون مجزية جدا.

ـ خير يا حاج.

قال الحرباء و هو يمد يده إلى السنونو بثمانِ صور:

ـ أريد معلومات عن أو أماكن أصحاب هذه الصور.

و تفحص السنونو الصور (كانت أسماء أصحابها مكتوبة على ظهرها).

فيما مد النونو عنقه ليرى ... الصورة الأولى كانت لسليمان الكبير و لما رآها السنونو قال:

ـ عمي سليمان مات قبل يومين أو ثلاثة.

و لم يجب الحرباء و إن عقد حاجبيه و لم يكن سليمان للحرباء بتلك الأهمية و لم يكن يريد سوى معلومات عنه فقط لأن شفاعة أعضاء المجلس الأعلى للقضاء أخرجته من دائرة اهتماماته.

الصورة الثانية كانت للمقداد الخوجة ابن خاله ... و هنا حبض غمر جوانح السنونو قلقا فيما اختلس رِئية نحو أخيه النونو و رآه يهم بالكلام فسبقه قائلا:

ـ هذا ابن خالي المقداد و هو مفقود منذ سنين.

و فوجئ النونو الخسيس بهذا القول فانكمش على نفسه جبنا فقد كان يخاف من السنونو بأشد مما يخاف من الله.

و رماه السنونو برئية سريعة أخرى و التقت عيناهما فابتلع النونو لسانه.

قال الحرباء و هو يتفحص ملامحه محاولا التحذلق و صورة " المحقق كونان " تمر في باله ثم تبعتها صورة السنفور مفكر (و كان الحرباء غبيا جاهلا همجيا ككل المليشيات و قضاة ليبيا و شرطتها و مثقفي الفول المعفن فيها):

ـ هل تعرف عقوبة الذي يكذب عليّ؟

ـ أكيد يا حاج... ستغرز حربة الكلاشن في دبره ... (ضحك النونو عند هذه الكلمة لكنه ابتلع ضحكته رعبا بعد أن حدق الحرباء نحوه فخفض رأسه و عينيه إلى الأرض و أظهر صورة التلميذ المطيع في المدرسة لكي يُرْضِي هذا الطاغوت القذر فشفعت له هذه الحركة إذ أرضت كبرياء الطاغوت المليشياوي لما جاءته ذكرى التلاميذ و هم يعقدون أيديهم أمام صدورهم في مقاعدهم أمام المدرسين ليتظاهروا بالأدب فبرد غضبه) .

فيما استمر السنونو:

ـ أنا لا أعرف المقداد و لم أره منذ صغري و ليَغُرْ في ستين ألف داهية.

و قال الحرباء كاذبا:

ـ ابن خالك قائد لخلية من تنظيم القاعدة في ليبيا و حكومة الولايات المتحدة وضعت مكافأة لمن يدل عليه و بقية الصور كلها لأعضاء في هذه الخلية في ليبيا.

و انتفخ قلب النونو فخرا في أعماقه و طفق يتخيل ابن خاله " بطل من أبطال المقاومة العربية و الإسلامية ضد الاستكبار الغربي" ثم تخيل المقداد في جرد عمر المختار ثم تخيله يتأرجح من المشنقة.

ـ و لماذا كان عمي سليمان مطلق السراح إذن و لم يقبض عليه أحد؟

و ارتبك الحرباء من هول مفاجأة الرد فقد تعود على غباء مفرخ المليشيات و جهلهم فتلعثم ثم قال:

ـ عمك سليمان اتضحت براءته لذا أُطلق سراحه.

و جعل السنونو يتفحص بقية الصور .. الثالثة لنبيه عشراوي و الرابعة لحسين الخمسي (و هنا قال الحرباء بأن الخمسي داعشي) و الخامسة لبدر بن كورة و السادسة لتونسي اسمه زياد بهلول و السابعة لأسامة إمحيسن.

قال السنونو:

ـ و هذه الثامنة لمن فليس مكتوبا عليها أي اسم.

قال الحرباء:

ـ هذه لخليجي و هو أهمهم و لا يهمك اسمه, و الجائزة على رأسه مليون دولار.. دلني عليه و سوف تحصل على نصف المبلغ.

و توجه الحرباء إلى النونو بالكلام قائلا:

ـ اقترب.

و اقترب النونو بمسكنة و هو يخفض رأسه فأعطاه الحرباء صورة تاسعة و هي لفتاة بارعة الجمال:

ـ أريد هاتف هذه الفتاة, ستجدها ترتاد مقهى دي روما قرب زنقة الريح.

و رمى إليه بألف دينار قائلا:

ـ هذا مصروف أسبوع في المقهى, أريد أن يكون هاتفها عندي الخميس القادم, أمامك أسبوع واحد فقط.

ثم غادرهما.

الختام

انتهت رواية الزنديق و المدخلي و هي و إن كانت قائمة بذاتها فإنها حلقة من رواية أكبر منها بعنوان "دولة المسون", و الماسن هو الفاجر الذي يؤذي الناس بأي طريقة كانت, بيده أو لسانه.

و المسون هو الفجور و الفساد و دولة المسون هي دولة ليبيا التي وصلت إلى القاع أخلاقيا و اقتصاديا و سياسيا و دينيا.

و للرواية بقية من روايات لاحقة في أحداثها تصل إلى نهاية رواية دولة المسون و روايات أخرى مكملة للأحداث التي وقعت بين ربيع الأول و جمادى الآخرة.

و هي انعكاس للواقع, و لم أوضح كل شيء فيها بعد فبعضها ألغاز و بها أشياء و شخصيات حقيقية موجودة فعلا مثل المهدي المنتظر و قد جعلته شخصية في الرواية بإذن منه.

و غرضي من هذا الجزء كان عدة أشياء و على رأسها تقديم بطل هذا العالم الروائي لكم و قد ظهر البطل فعلا في ثنايا الرواية و هو ليس سليمان على أي حال, فما سليمان إلا شخصية من الشخصيات الثانوية في هذا العالم الروائي.

و هذه الرواية جهد لمناضلة تيارات الزندقة و العلمانية في العالم العربي و هي تيارات استأسدت و دمرت المجتمعات العربية و أعلنت حربها على الإسلام و اللغة العربية و الأسرة و خاصة في المغرب العربي.

و رغم وجود عديد من الأحداث الحالية التي تبدو للرائي مهمة مثل فضيحة سيل درنة و حرب غزة و الفساد غير المسبوق في ليبيا و الحروب العسكرية الأهلية في السودان و ليبيا و اليمن و سوريا فإن المهدي المنتظر يرى شيئا آخر.

يرى المهدي المنتظر أن الحرب الحقيقية على العالمين العربي و الإسلامي و خاصة العالم العربي تدور رحاها اليوم داخل بيوتنا بين الرجل و المرأة , بين الأب و الأم.

الحرب تدور بين أفراد الأسرة الواحدة إذ نجح العدو الغربي في اختراق الأسرة العربية و المسلمة بواسطة أداته المتمثلة في نظام القضاء العلماني العربي الذي يحكم بالقوانين الوضعية و يشرع قوانين الأسرة بطريقة مضادة للأب و حقوقه و ولايته على زوجه و أولاده مما تسبب في هذا الانفلات و التفكك الأسري الذي نعاني منه و تسبب في هذا العدد الهائل من حالات الطلاق سنويا في الوطن العربي.

هذه الحرب نجحت بقوانين الزواج و الطلاق و الحضانة في إخراج الأب نهائيا من حياة أولاده و حولته إلى مجرد آلة صرافة و حولت الرجل العربي إلى أداة للتلقيح

فقط لا غير , هذه الحرب دمرت الرجل العربي الذي هو الأمل الوحيد للعالم العربي للنهضة و للحاق ببقية أمم الأرض.

فالرجل هو باني الحضارات و هو قوام المجتمعات و ليست المرأة و لا الطفل و لا الغلمان, و الضغط النفسي الشديد على الرجل كفيل بتدميره نفسيا و دماره النفسي من دمار مستقبل العرب و بقية العالم الإسلامي.

فنحن في ليبيا مثلا لا زلنا نعيش في القرن التاسع عشر تخلفا, فالبلاد عبارة عن قطعة من الخراب الاقتصادي و التأخر التقني و التفكك الاجتماعي و الفساد الأخلاقي أي أنها قطعة من جحيم و كل هذا بسبب الانهيار الاجتماعي.

و حينما سُئِلَ المهدي المنتظر عن الحل لإعادة التماسك الأسري إلى مجتمعاتنا العربية أجاب بأن الحل يكمن في إلغاء ما يسمى بحضانة الأم و النساء نهائيا لأن الحضانة لا وجود لها في القرآن بل يوجد نظام الكفالة و الدليل قوله تعالى عن مريم " و كفلها زكرياء ".

و حينما سئل عن ترتيب الكفالة أجاب بأنه نفسه ترتيب الإرث و الولاية في القرآن و هو أن تكون الكفالة للأب ثم الأم ثم الأخ ثم الأخت ثم أبو الأب ثم أم الأب ثم العم ثم العمة ثم الأخ من الأم ثم الأخت من الأم ثم أبو الأم ثم أم الأم ثم الخال ثم الخالة.

و الأولاد في القرآن لأبيهم لأن الله سمى الأبَ بالمولود له و لام الجر للاستحقاق كما يعرف أصغر طلاب النحو لذا فالولاية للأب مطلقة حتى يبلغ الولد النكاح أي سن البلوغ فحينها يصبح كلٌ مسئولا عن نفسه و يصبح الأب صديقا و صاحبا لأولاده.

فإن لم ترضوا بالقرآن حكما فلا أقل من أن يتم تحديد سن الحضانة بسبع سنوات للذكر و الأنثى ثم يعود الأولاد بعدها لأبيهم و هذا كفيل بردع النواشز و العابثات بالتماسك الأسري.

و إذا كان من أمل لبدء التغيير كما يقول المهدي المنتظر فهذا الأمل كائن في مصر و العراق, فمصر هي قلب الوطن العربي الممتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي و قد بلغت الذروة في التفكك الأسرى و قهر الآباء و الرجال و هو يقول لكل أب مصري محروم من أولاده أن المناشدات عبر الفيسبوك لن تنجح فالقائمون على هذه الأمور في مصر يعتبرونكم كلابا تنبح بلا خطر و لا حركة جادة , و لن يستمع لكم أحد حتى تجتمعوا في مظاهرات حاشدة في ميادين مصر , ففي مصر يوجد على الأقل مائتا ألف أب محروم من أولاده و هذا العدد كفيل بهدم النظام المصري كله و ليس انتزاع حق الرجل فقط.

و يجب أن تصبروا على عنف النظام المصري في أول الحراك و تتحملوا مقدار التضحيات الذي سوف يقع لأن عدد قتلى أي حراك اجتماعي سيكون

بالآلاف في المواجهة الأولى مع الجيوش النظامية و المليشيات التي تحكم المجتمعات بالحديد و النار و هذا ما حدث مثلا في أحداث الربيع العربي.

و أما في العراق فتيار مقتدى الصدر هو القوة الوحيدة القادرة على انتزاع حقوق الأب في العراق و إذا فعلها رجال الصدر فسوف تكون خطوة عظيمة تجاه نهضة العالم العربي و القضاء على الانهيار الاجتماعي و التفكك الأسري فيه.

هذا اختصار لما قاله المهدي المنتظر و هذه مناشدته للآباء في مصر و رجال مقتدى الصدر في العراق , و هذه هي قضية الساعة لكل رجل عربي.

يا أيها الرجال, استعيدوا أولادكم قبل فوات الأوان, قبل أن ينهار كل شيء في العالم العربي و لا تسمعوا لغير هذا الكلام و ركزوا على هذا المطلب فقط الآن.

إنشاء نظام الكفالة حيث يكون الأب هو الكفيل و ولي الأولاد.

أو تحديد سن الحضانة بسبع سنوات فقط ثم يعود الأولاد لأبيهم.

النهاية.

صدر:

العنوان	المؤلف	
مأساة الأب في ليبيا و ظاهرة موت الأب في العالم العربي	محمد جميلة	كتاب
الزنديق و المدخلي	محمد سكينة	رواية

كتاب

مأساة الأب في ليبيا

و ظاهرة موت الأب في العالم العربي

تأليفُ من عند محمد جميلة

الفهرس

	الصفحة
الفصل الأول مأساة الأب في ليبيا	149
الفصل الثاني و هو الأخير موت الأب في العالم العربي	204

شعبان و رمضان 1444 هـ

الفصل الأول

مأساة الأب في ليبيا

هذا كتاب أبوح فيه بما هو مكتوم في صدور أكثر الآباء و الرجال في ليبيا , و لا أقصد بكلمة الرجال أولئك الإمعات الذين يتبعون أقاويل الذين يزعمون أنهم مالكية و مالكٌ منهم براء كما سيتضح بينما هم في حقيقتهم أتباع سحنون صاحب المدونة الضعيفة التي جعلوها كالقرآن الكريم و العياذ بالله و فيها يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء:

- و أصل المدونة أسئلة سألها أسد ابن الفرات لابن القاسم فلما ارتحل سحنون بها عرضها على ابن القاسم فأصلح فيها كثيرا و أسقط , ثم رتبها سحنون و بوبها و احتج لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته مع أن فيها أشياء لا ينهض دليلها بل هي رأي محض , و حكوا أن سحنون في أواخر الأمر عَلَّمَ عليها و هم بإسقاطها و تهذيب المدونة فأدركته المنية رحمه الله.

و من هذا القول من شمس الدين محمد ابن أحمد ابن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) يتضح أن مدونة سحنون ضعيفة الأدلة , و أن التغيير أصابها , فكيف تُجعل

حجةً في أيامنا هذه لمسألة خطيرة مثل مسألة الحضانة التي صارت الآن أداة البرمائيات العلمانية لتدمير الأسرة الليبية و الأسرة العربية عامة و لتفكيك النسيج الاجتماعي في ليبيا و إخراج الأب من حياة أولاده و نزع ولايته عليهم و حضّ النساء على العصيان و التمرد و تنفيذ أجندة التحالف العالمي المكون من قوم لوط و النسويات و الزنادقة و هو تحالف يسعى لتحرير المرأة نهائيا من أي قيد أخلاقي و سلطان أبوي تمهيدا لنشر الزنى و الخنا و العهر.

و هذا التحالف يتمركز اليوم في الولايات المتحدة و الاتحاد الأوروبي , و حلف الناتو هو ذراعه العسكري و المؤسسات المصرفية الغربية هي ذراعه الاقتصادي و يشن حربه ضد العالم الإسلامي و روسيا و الصين.

....

....

فأما الحرب ضد العالم الإسلامي فهي حرب ثقافية تستهدف القلوب و تسعى للتغيير الاجتماعي و لإبادة العادات و التقاليد العربية و لحبس الإسلام داخل معابد لا يخرج منها إلا إلى قبره في مرحلة لاحقة.

و أسلحته في هذه الحرب هي وسائل الإعلام المختلفة و المؤسسات القضائية و وزارات الثقافة و منظمات المجتمع المدني و الأقليات القومية الحاقدة على العروبة و اللغة العربية و الإسلام في العالم العربي.

و أما الحرب ضد روسيا فهي عسكرية و تستهدف استنزافها في أوكرانيا.

و أما الحرب ضد الصين فهي حرب اقتصادية و تستهدف إبطاء النمو الاقتصادي الصيني و مقاومة تغلغل الصين الاقتصادي في العالم.

....

....

فأصل المدونة إذن هو مدونة أسد ابن الفرات.

و الفرع الضعيف منها هو مدونة سحنون التنوخي (ت 240 هـ) , و هم يضخمونها بقولهم المدونة الكبرى , و كلمة الكبرى التي يستعملونها قصدا تجعل كل ما يليها من شيء صغيرا في النفس و توحي إلينا بأن بقية الفقهاء و العلماء و أصحاب الحديث أقزام بجانب سحنون التنوخي , و الحق أن مدونته ضعيفة فهي لا ترقى إلى أن تكون بحثا جيدا فكيف تكون قانونا مفروضا على أكثر من مليارين ممن ينتسبون للإسلام و بسببها تم تدمير المجتمعات العربية.

ثم إنهم لا يستعملون المدونة في تشريعاتهم بل يستعملون مزاعمه الشاذة في الحضانة و التي نسبها لمالك و غيره.

....

....

و أما أصل مسألة الحضانة فليس في مدونة سحنون بل في كتب أصحاب الحديث و هي موطأ مالك و أم الشافعي و مسند أحمد ابن حنبل , ثم قبل هؤلاء القرآن الكريم.

....

....

فمصطلح الحضانة باختصار غير موجودة في القرآن الكريم , فالقرءان يقول أن مكان الأولاد مع أبيهم, فقد سمى اللهُ الأبَ في القرآن الكريم بالمولود له , و اللام للاستحقاق و الملك كما هو معلوم لطلاب النحو المبتدئين كما يقول سيبويه, أي أن الأولاد لأبيهم و هو الأحق بهم و ليسوا لغيره ثم إن مدة الرضاعة حولانِ لقوله تعالى في سياق آيات الطلاق في سورة البقرة:

- و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها.

ثم يخبر الله في حال حدث التعاسر بقوله في سورة الطلاق:

- و إن تعاسرتم فسترضع له أخرى.

أي إن حدث التعاسر فتذهب حينها الوالدة إلى بيت أهلها و تترك الأولاد لأبيهم ليأتي بامرأة أخرى ترضع أولاده و إنما تتقدم الأم على غيرها من النساء للبقاء مع الأولاد طالما كانوا صغارا و طالما لم تعاسر الأب.

فإذا أسمينا البقاء مع الأولاد لرعايتهم في أحد المنازل بالحضانة , فالحضانة تكون في القرءان للصغير طالما لا يستطيع الأكل و الشرب بنفسه و يجب أن تكون الحاضنة متفرغة للأطفال فلا تعمل و لا تتجاوز مدتها سن الحولَيْنِ.

نقول مرة أخرى أن الحضانة للمرأة غير العاملة و ليست الحضانة للموظفة و لا يغير هذا الحكم ما صار في عالم اليوم من خروج المرأة للعمل و التسكع في الشوارع ليل نهار.

إذن خلصنا إلى أن الأولاد في القرءان لأبيهم و أن لا وجود للحضانة في كتاب الله بل هي الرضاعة لعامين و في حال لم يحدث التعاسر فإن الوالدة هي أولى النساء للبقاء مع الأطفال في بيت يختاره الأب تحت هيمنته و سلطانه و ولايته

الكاملة و يجب أن تكون الوالدة متفرغة للبقاء مع الأولاد فلا تعمل و لا تخرج من البيت.

و حتى إن كانت الوالدة تعمل و الخ فإن بقاء الأولاد معها يجب أن يكون برضا الأب و بالاتفاق معه.

و قد يسأل البعض " أليس للأم من حق في أولادها؟" و الجواب " نعم, لديها حق و بينه الله في قوله " و لهن مثل الذي عليهن بالمعروف و للرجال عليهن درجة" , أي إن أصرت أن يبقى معها أولادها فلها من الأيام أقل من الأب, فإن كان للأب أسبوع فلها ستة أيام و هكذا و هذا ما قاله الرجل الذي يتراءى في الخيال".

لكن الأولاد في النهاية لأبيهم و ليسوا لغيره و هو ولي أمرهم.

و أما الحضانة في مذهب أصحاب الحديث (و هو "مذهب التيارات السلفية" و بعض أهل السنة و الجماعة, و أنا مُصِرٌّ على هذه التسمية ألا و هي أصحاب الحديث لأنه لا وجود في الحقيقة لشيء اسمه المذهب المالكي أو الشافعي أو الحنبلي بل إن كل هؤلاء لهم نفس الرأي في الحضانة و كلهم أبناء مدرسة واحدة و خط واحد كما سترون و الاختلاف بينهم لا يخرج أحدهم عن الآخر) ,
فأقول و أما الحضانة في مذهب أصحاب الحديث و هم مالك و الشافعي و

أحمد ابن حنبل فتنتهي عند سن السابعة و يُعْرَفُ ذلك من كتب أصحاب الحديث و مصادر مذهب أصحاب الحديث هي موطأ مالك و كتاب الأم للشافعي و المسند لأحمد ابن حنبل.

ففي الموطإ لا يوجد سوى حديث واحد عن الحضانة , فقد جاء في الموطإ:

- و حدثني مالك عن يحيى ابن سعيد أنه قال سمعتُ القاسم ابن محمد يقول كانت عند عمر ابن الخطاب امرأة من الأنصار فولدت له عاصمَ ابنَ عمر ثم إنه فارقها فجاء عمر قُباءً فوجد ابنه عاصما يلعب بفناء المسجد فأخذ بعضده فوضعه بين يديه على الدابة فأدركته جدة الغلام فنازعته إياه حتى أتيا أبا بكر الصديق فقال عمر ابني و قالت المرأة ابني, فقال أبو بكر خلِّ بينها و بينه. قال فما راجعه عمر بالكلام. قال و سمعتُ مالكا يقول و هذا الذي آخذ به في ذلك.

....

ملاحظة مهمة جدا, بعض نسخ الموطإ لا يوجد بها أي شيء عن الحضانة.

....

و تحليل هذه المسألة باختصار , أَنْ أولا هذا رأي أبي بكر الصديق و ليس حكم القرآن أو حكم رسول الله صلى الله عليه و سلم حسب كتب الحديث فأكثر

أحكام رسول الله صلى الله عليه و سلم حسب كتب الحديث أنه قام بالتخيير أو سلم الأولاد لرجال العصبة كما حدث في قصة ابنت حمزة.

و ثانيا أن أبا بكر الصديق لم يقل سوى أن " خلّ بينها و بينه " فلم يصدر حكما و لا شيئا يشابهه و لا أقرّ لها بشيء.

و ثالثا يجب أن نعرف عناصر من هذه المسألة و منها عاصم ابن عمر ابن الخطاب و فترة حكم أبي بكر الصديق ثم نربط الاثنين بالقرءان و ببقية ما جاء من الشافعي و أحمد و خاصة الشافعي, لأن الشافعي هو تلميذ مالك و هو الذي ورث علمه و زاد عليه ثم فاقه و كل هذا سأقصه عليكم باختصار و وضوح لكيلا أطيل عليكم.

فأما عاصم ابن عمر ابن الخطاب فقد وُلِدَ في حياة النبيء صلى الله عليه و سلم, و أمه ابنةٌ لثابت ابن أبي الأقلح و تزوجها عمر ابن الخطاب في سنة سبع من الهجرة فولدت له عاصما و على هذا يكون مولد عاصم سنة ثمان من الهجرة (كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر , ت 463 هـ).

و منكم بلا ريب مَنْ يعلم أن مدة خلافة أبي بكر الصديق كانت سنتين تقريبا و هما بعض من سنة 11 و سنة 12 كلها و بعض من سنة 13 هـ , فهي بقول ابن كثير (ت 774 هـ) في البداية و النهاية:

- فكانت خلافة الصديق سنتين و ثلاثة أشهر.

فتكون سن عاصم حين تخاصم عمر و جدة عاصم من ثلاث إلى خمس سنوات و احفظوا هذا جيدا.

أي أن عاصما كان أصغر من سبع سنين و هي سن تخيير الذكور و هذا ما قصد إليه مالك.

فهذا ما جاء في موطإ مالك و لم يقل مالكٌ غيرَ هذا (و بعض نسخ الموطإ لا يوجد بها هذا), و لكي نفهم مالكا فيلزمنا أن نستمر إلى تلميذه الشافعي.

ولد محمد ابن إدريس الشافعي في عسقلان سنة 150 هجرية ثم لحق بعصبته أهل أبيه في مكة و توفي في مصر سنة 204 هجرية و حفظ موطأ مالك و عرضه عليه و روى عن مالك بكثرة فهو تلميذه , يقول الشافعي:

- ولدت بعسقلان فلما أتى عليَّ سنتان حملتني أمي إلى مكة و كانت نهمتي في شيئين, في الرمي و طلب العلم, فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرةٍ عشرةً.

و سكت الشافعي فقال له عمرو ابن سواد:

- أنت و الله في العلم أكثر منك في الرمي.

و قال إسحاق ابن راهويه:

- أخذ أحمد ابن حنبل بيدي و قال تعال أذهب بك إلى من لم ترَ عيناك مثله فذهب بي إلى الشافعي.

و قال الشافعي:

- حفظت القرآن و أنا ابن سبع سنين و حفظت الموطأ و أنا ابن عشر سنين و أتيت مالكا و أنا ابن ثلاث عشرة سنة و كان ابن عم لي والي المدينة فكلم مالكا فأتيته فقال اطلب من يقرأ لك فقلت أنا أقرأ, فقرأت عليه, فكان ربما قال لي لشيء مَرَّ أعده فأعيده حفظا و كأنه أعجبه, ثم سألته عن مسألة فأجابني ثم أخرى فقال أنت تحب أن تكون قاضيا.

فهذا هو الشافعي و هذا مكانه من مالك فكيف يتقدم عليه من لم يرَ مالكا و كيف يؤخذ قول البعيد في الحضانة و يرمى قول القريب و التلميذ ألا و هو الشافعي.

و قول الشافعي في الحضانة و مدتها هو تفصيل القول المقتضب من مالك فيها, إذ يقول الشافعي في كتاب الأم:

- إذا افترق الأبوان و هما في قرية واحدة فالأم أحق بولدها ما لم تتزوج و ما كانوا صغارا, فإذا بلغ أحدهم سبعا أو ثماني سنين و هو يعقل خُيِّرَ بين أبيه و أمه و كان عند أيهما اختار, فإن اختار أمه فعلى أبيه نفقته و لا يُمنعُ من تأديبه , و سواء في ذلك الذكر و الأنثى (يعني بالسواء

بقاء الولد قبل السابعة مع الأم) , و يخرج الغلام إلى الكتاب و الصناعة إن كان من أهلها و يأوي عند أمه و على أبيه نفقته و إن اختار أباه فلم يكن لأبيه منعه من أن يأتي أمه و تأتيه في الأيام.

ثم نصل إلى فقرة مهمة في كلام الشافعي إذ يقول:

- و إن كانت جارية لم تُمْنَعْ أُمُّها من أن تأتيها و لا أعلم على أبيها إخراجها إليها إلا من مرض فيؤمر بإخراجها عائدةً.

إذن حكم الذكر غير حكم الأنثى حين بلوغ السابعة لدى الشافعي و مالك من قبله.

فالذكر حين يبلغ السابعة يخير أي تُتْرَكُ له حرية التنقل بين أمه و أبيه, فمرة يكون عند أمه و مرة يكون عند أبيه حسب رغبته و حسب غيابه عنهما.

و أما الأنثى فهي عند أبيها لا تخرج من بيته و لا تُمنع الأم من زيارتها.

و رأي مالك مثل رأي الشافعي لأن قول مالك " و هذا الذي آخذ به في ذلك " يختص بعاصم ابن عمر ابن الخطاب و كان عاصم في القضية يبلغ من العمر من ثلاث إلى خمس سنوات فهو لم يصل إلى سن التخيير.

و عاصم ذكر و ليس أنثى.

و الشافعي درس عند مالك منذ طفولته فهو أعلم بمالك من سحنون و غيره.

و يقول الشافعي:

- و إذا أراد الأب الانتقال عن البلد الذي نكح به المرأة فهو أحق بالولد مرضعا كان أو كبيرا أو كيفما كان و كذلك قرابة الأب و إن بعدت, و العصبة إذا افترقت الدار أولى.

لنقف ههنا قليلا حتى نحفظ جيدا.

فمختصر الحضانة عند مالك و الشافعي هو أنها تنتهي حين السابعة و حينئذ يخير الذكر و يُتْرَكُ حسب رغبته بين الأم و الأب فمرة عند أمه و مرة عند أبيه إلا إذا تزوجت أمه فحينئذ يكون عند أبيه بلا تخيير.

و أما الأنثى التي بلغت السابعة فهي عند أبيها بلا تخيير و لا تُمنع الأم من زيارتها.

و أما الحضانة عند الحنابلة فيختصرها لنا الخرقي (ت 334 هـ) في مختصره إذ يقول:

- و الأم أحق بكفالة الطفل و المعتوه إذا طلقت, فإذا بلغ الغلام سبع سنين خير بين أبويه فكان مع من اختار منهما فإذا بلغت الجارية سبع سنين فالأب أحق بها.

إذن يكون الأمر حين بلوغ الطفل السابعة هو التخيير للذكر أي أن يُترك حسب رغبته و أما الأنثى فهي عند أبيها بلا تخيير, فلا يوجد أي اختلاف بين مالك و الشافعي و أحمد, و أي اختلاف فمرده إلى اختلاف شخوص القضايا و يتعلق بحالات خاصة لا يجوز بناء الحكم عليها.

فهذا هو مذهب أصحاب الحديث و هم فرقة من فرق أهل السنة و الجماعة.

فكما ترون فهم متفقون و لا خلاف بينهم مطلقا, فالحضانة عندهم تنتهي في السابعة و حينئذ يُترك الذكر بين أبيه و أمه و لا يُمْنَعْ كلاهما عنه و أما الأنثى فعند أبيها بلا خلاف, و الولاية الكاملة و التأديب للأب, و الأم لا تعمل موظفة بل تتفرغ لرعاية الأطفال, و إذا تجرأت الأم و أهلها على حرمان الأب من ولده فتسقط حينئذ حضانتها لمن كان دون السابعة و يسقط بقاء الأولاد معهم أصلا بل و يمنع الأولاد من زيارتها و زيارة أهلها , و لم يناقش الفقهاء و لا أصحاب الحديث هذه النقطة و لم يتطرقوا إليها لأنها كانت بعيدة عن خيالهم , فلم يكن من المتوقع أن يأتي زمان يتم فيه منع الأب من رؤية أولاده و يتم فيه إخراج الأب من حياتهم نهائيا ثم يحدث عليه هذا السلب و النهب و الحرابة برعاية القانون العلماني الفاجر الذي تجرأ إلى درجة حرابة البيوت نفسها بأوامر التمكين في بيت الزوجية.

بل إن أحد القضاة في ليبيا أصدر أمرا ولائيا بسحب ملف إحدى البنات من المدرسة رغم أنف أبيها ليجرد الأب من كل ولاية له على ابنته و أصدر أمرا لتمكين الجامح في بيت أبي الزوج الذي تصدق عليهما بغرفتين و حمام فيه لأن الزوج لم يكن لديه بيت فاضطر والده لإيوائه, فانظروا إلى هذا الفجور و التغول الذي وصل إليه القضاء العلماني الليبي.

....

....

بقيت لدي الآن ثلاث فرق من فرق أهل السنة و الجماعة و هن مذهب البخاري و مذهب أبي حنيفة و الأشاعرة.

فأما الحضانة عند محمد ابن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) فهي للرجال بلا خلاف, فإذا تساوت مكانتهم تم الترجيح بقرابة النساء, حَدَّثَ البخاري:

- حدثنا عبيد الله ابن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال اعتمر النبيء صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا لا نقر بها فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك لكن أنت محمد

ابن عبد الله قال أنا رسول الله و أنا محمد ابن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب و أن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه و أن لا يمنع أحدا من أصحابه أراد أن يقيم بها فلما دخلها و مضى الأجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل , فخرج النبيء صلى الله عليه و سلم فتبعتهم ابنة حمزة يا عم يا عم , فتناولها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فأخذ بيدها و قال لفاطمة عليها السلام دونك ابنة عمك , فحملتها، فاختصم فيها علي و زيد و جعفر , فقال علي أنا أحق بها و هي ابنة عمي و قال جعفر ابنة عمي و خالتها تحتي, و قال زيد ابنة أخي , فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها و قال الخالة بمنزلة الأم و قال لعلي أنت مني و أنا منك و قال لجعفر أشبهت خلقي و خلقي و قال لزيد أنت أخونا و مولانا.

فالذين اختصموا فيها و تقدموا للحضانة كانوا رجالا و هم علي و جعفر و زيد, فلما تساووا في المكانة و القرب تم التفاضل بين النساء و كانت خالتها هي الأقرب إلى ابنت حمزة من بين نساء الثلاثة فهي أخت أمها لهذا قال إنها بمنزلة الأم, فهي بمنزلة الأم بين النساء الثلاث, و لو كان عمها العباس ابن عبد المطلب

حاضرا أو تقدم لحكم له بها و لو كانت صفية عمتها موجودة و تقدمت لحكم لها بها ,فالعصبة هم الأولى بالولد عند البخاري.

و هؤلاء الثلاثة و هم علي و جعفر و زيد ليسوا آباءها.

و أبوها حمزة كان ميتا فكيف لو كان حيا, إذن حينها لن تكون هنالك قضية حضانة أصلا و لن يتقدم أحد بل أبوها هو الأولى و الأحق.

فهذا هو سياق حديث البخاري و فهمه الصحيح.

و أما الحضانة عند الأحناف فيقول القدوري ت 428 هـ في مختصره:

- و الأم و الجدة أحق بالغلام حتى يأكل وحده و يشرب و يلبس وحده و يستنجي وحده و بالجارية حتى تحيض.

و أما الأشاعرة فهم حنابلة فهم تبع لما قاله الخرقي في مسائل الفقه, يقول أبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) في كتابه الإبانة عن أصول الديانة :

- إن قولنا الذي نقول به و ديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز و جل و بسنة نبينا صلى الله عليه و آله و سلم و ما روي عن الصحابة و التابعين و أئمة الحديث و نحن بذلك معتصمون و بما كان يقول به أبو عبد الله أحمد ابن محمد ابن حنبل نضر الله وجهه و رفع درجته و أجزل مثوبته قائلون و لمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل و

الرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق و رفع به الضلال و أوضح به المنهاج.

إذن لنلخص الآن ما قلنا في مسألة الحضانة.

لا وجود لشيء اسمه الحضانة في القرءان بل الأولاد لأبيهم و هم معه و الرضاعة تكون لحولين و لا تمنع الأم من زيارة أولادها و لا يمنعون من زيارتها و إذا تركهم الأب مع أمهم فهذا برضاه و ليس بكرهه و لأنها الأولى من بقية النساء للبقاء معهم فإذا عاسرت الأب فلا بقاء لها معهم.

و أما الحضانة عند أهل السنة و الجماعة فهي على آراء.

رأي أصحاب الحديث و هم مالك و الشافعي و أحمد ابن حنبل أنها تنتهي حين السابعة و حينها تترك الخيرة للذكر فهو يتنقل بين أبيه و أمه , و أما الأنثى فهي عند أبيها بلا تخيير و لا تمنع الأم من زيارتها متى شاءت , و يشاركهم في هذا الرأي الأشاعرة و أما ترتيب الحضانة لمن هو دون السابعة فهي للأم بلا خلاف بينهم ثم اختلف الفقهاء في تقديم نساء العصبة أو النساء من جهة الأم و الصواب مع من قدم نساء العصبة لأن الأولاد لأبيهم في القرءان و من ينكر أو يضاد هذا فهو كافر خارج من ملل الإسلام كلها و محارب لله و رسوله, و من يمنع و يحرم الأب من أولاده فهو كافر أيضا , و الاحتجاج بقضية عاصم ابن

عمر ابن الخطاب ضعيف لأن أم عمر ابن الخطاب لم تكن حاضرة و لم تتقدم امرأة من نساء العصبة العمرية.

و أما الحضانة عند البخاري فهي للأب ثم للرجال العصبة بلا خلاف, فإذا استوت مكانة من تقدم للحضانة تم الترجيح بقرابة النساء.

و أما الحضانة عند أصحاب أبي حنيفة النعمان ابن ثابت فتنتهي للذكر حين استغنائه عن خدمة النساء و تنتهي للأنثى حين تحيض أي بين 8 إلى 13 سنة و لذا اتفق الأحناف على أن حضانة الأنثى تنتهي حين التاسعة.

و للأب و الأم الحق في رؤية الأولاد متى شاء أي منهما و لا يمنع أحدهما من ذلك, و لا يوجد في الإسلام شيء اسمه إذن زيارة من القاضي فلا علاقة للقاضي بالولاية على الأولاد و لا رؤية الأولاد و إنما مهمته فصل التخاصم و تهدئة الخواطر و توضيح الحدود و الحقوق للطرفين و لا يستطيع القاضي تطليق المرأة رغم أنف الزوج, فالطلاق بيد الزوج وحده و جعل الله الفداء مخرجا للمرأة التي تأبى الرجوع إلى زوجها, فلا يوجد خلع في دين الله و لا طلاق بيد المرأة أو القاضي و كل طلاق كان بيد القاضي فهو باطل.

و للأب قوة المنع و أخذ الأولاد من الأم إذا رأى أنها هي أو أهلها يفسدون أولاده عليه و يعلمونهم كره أبيهم و عصبتهم.

إذن الحضانة في مذاهب أهل السنة و الجماعة تنتهي حين السابعة و حينها يُتْرَك الذكر لاختياره بين أمه و أبيه فمرة عند أمه و مرة عند أبيه و أما الأنثى فهي عند الأب بلا تخيير لأنها عرضه و شرفه.

فالأب و الأخ و أبو الأب و العم و العصبة هم حماة العرض و الشرف لكن القضاء العلماني الليبي و القضاء العلماني العربي عامة لا شرف و لا غيرة عندهم بل هم أهل دياثة و رشوة لا يعرفون الأصول و لا الأخلاق الطيبة لأنهم عملاء للعلمانية الغربية فهم ينفذون الأوامر الولائية التي تأتيهم من قلاع الزندقة في واشنطن و لندن و باريس , و كلهم يهمهم أن يصير أولادنا كاللقطاء الذين لا آباء لهم فتتفكك مجتمعاتنا العربية و تزول قيمنا الأسرية التي نعتز بها و ينتشر بيننا الزنى و فاحشة قوم لوط و كل الانحرافات.

....

....

....

و أما الحضانة الأبدية للأم فهي عند الإباضية, فحكم الحضانة عند الإباضية هو:

- أن الأم أولى بالصبي و على الأب الأجر ما دام في حد الصغر إلى أن يعقل الخيار فحيث اختار, و الجارية أمها أولى بها إلى أن تبلغ و يزوجها أبوها إلا أن يُعلم أن الأم غير مأمونة فالأب حينئذ أولى بها.

أي أن المحاكم الليبية تحكم اليوم بأحكام المذهب الإباضي و ليس بأحكام أهل السنة و الجماعة.

....

....

....

و لكن الكائنات البرمائية العلمانية تأبى إلا الانتقائية بما يلائم أغراضها و أهدافها التي بلغتها في السنوات الأخيرة بعد أن ازدادت حالات الطلاق في ليبيا باعتراف أحدهم و هو شخص في كلية القانون يكتب أمام اسمه كلمة "دكتور" إذ يخبرنا بأن عدد حالات الطلاق بين سنتي 1436 و 1440 هـ (من 2015 إلى 2019 م) قد بلغ 36,868 حالة بالتفصيل التالي و هو:

5372 حالة طلاق في سنة 2015 م.

3743 حالة طلاق في سنة 2016 م.

و 10852 حالة طلاق في سنة 2017 م.

و 9425 حالة طلاق في سنة 2018 م.

و 7476 حالة طلاق في سنة 2019 م.

أي أن عدد حالات الطلاق اليومية في ليبيا قد بلغ عشرين حالة طلاق تقريبا أي بمعدل حالتي طلاق في الساعة الواحدة.

و لكيلا يخدعكم ضفدع من الكائنات العلمانية البرمائية و لا خصم سياسي من خصوم الدبيبة فإنني أقول لكم أن هذه الأرقام كانت قبل منحة عبد الحميد الدبيبة للزواج لأن عبد الحميد الدبيبة جاء إلى الحكم سنة 1442 هـ (2021 م).

ثم يدعو هذا الشخص القانوني البرمائيات القانونية العلمانية في ليبيا إلى التفكر في الأسباب المتعددة التي أدت إلى ارتفاع حالات الطلاق قائلا:

- فاعتبارا من سنة 1995 إلى سنة 2010 م بلغ عدد حالات الطلاق 32,988 و من سنة 2011 م إلى سنة 2019 م بلغ 36,868 حالة طلاق, و هو الأمر الذي يفرض على المعنيين بوضع تشريعات قضايا الأسرة النظر إلى الأسباب المتعددة التي أدت إلى ارتفاع حالات الطلاق.

و نسي أن قانونهم الإجرامي و هو القانون رقم 10 لسنة 1984 م (1404 هجرية) الذي يقوي المرأة على الرجل و يعطيها كل شيء في نهاية الأمر بحجة الحضانة هو الذي أدى إلى هذا الانهيار في مؤسسة الزواج في المجتمع الليبي في السنوات الأخيرة, فما حاجة المرأة للرجل و كل شيء لها في نهاية الأمر؟ أليس أخفّ عليها أن تتخلص من ذكر النحل الذي تطهو و تكنس له و يحكمها, لتعيش مع الأولاد بعدها في البيت المحروب منه بعد فك الارتباط من طرف واحد و هو الذي يسمونه طلاقا , و هي في نفس الوقت تعمل و تكسب المال و تتدحرج على مكاتب العمل بين الرجال فيزنى بها هذا و يدغدغها ذاك و تخرج لترتع في الشوارع و في الساحة الخضراء بين طوفان الغلمان و الهمج و الفجار و لا حسيب و لا رقيب عليها.

و السبب الآخر الواضح للعيان هو أن ليبيا يحدث فيها الآن تغير اجتماعي , و خاصة تغير في طريقة تفكير المرأة مع انتشار و تأثير الفكر الغربي و العلماني عبر الفضائيات و وسائل التواصل الاجتماعي و ظهور منظمات و جماعات المجتمع المدني التي توجت نشاطها التخريبي للأسرة و إفساد المرأة الليبية بإنشاء المجلس القومي للمرأة الليبية الذي لا يخفي أهدافه الصريحة و أهمها تشريع قوانين وضعية تعطي المرأة حق الولاية السياسية و التشريعية و تعديل النصوص المتعلقة بحقوق الزوجة رغم أن الهجالة تأخذ كل شيء بعد الطلاق فهي تغتصب من الأب

أولاده إلى الأبد بحجة الحضانة و يترتب على اغتصاب الحضانة أن تغتصب بيته بحق التمكين من بيت الزوجية ثم تنهب ماله بحجة النفقة و تحرمه من رؤية أولاده أو تحوله إلى كائن غريب لا يراهم إلا نادرا و يكون اختلاطهم بأخوالهم و الغرباء أكثر من اختلاطهم بأبيهم و عصبتهم و يتضح من كل هذا أن الطلاق لم يقع أصلا, فالطلاق يعني المفارقة و ذهاب الرجل في سبيله بعيدا عن المرأة و عودة المرأة إلى بيت أهلها في ولاية أبيها أو أخيها أو عمها أو رجل آخر من عصبتها لكي يرتاح الطرفان و تنتهي المشاكل , لكن هذا لا يحدث في ليبيا بل تتحرر المرأة بقوانين الزواج و الطلاق الحالية من قيد طاعة الزوج فقط بينما يبقى لها البيت و الأولاد و المال ثم تحرمه من أولاده و تقطعهم عنه و تقطعهم عن أهلهم و هم العمومة و يتحول الأب إلى كائن غريب عن أولاده بل يتحول إلى آلة صرافة يتم حلبها شهريا لصالح الهجالة و يعيش الأب في عذاب أبدي كأنه الجحيم من سبب حرمانه من أولاده و هو يراهم كل يوم يبتعدون عنه و يفقد ولايته عليهم و تتبعثر أسرته و تفجر بناته فيشوهن سمعته و سمعة العائلة و تفسد أحواله الاقتصادية من سبب إخراجه من بيته الذي تعب عمره كله لكي يبنيه فتأتي الهجالة لتأخذه منه فيضطر حينها إلى البدء من الصفر في ظل هذه الأحوال الاقتصادية السيئة, فهي حرابة مشرعنة كما ترون.

و لا تقتصر أهداف المجلس القومي للمرأة الليبية على إعطاء المرأة حق التشريع و حق الولاية و تشديد حقوق الزوجة بما يكفل لها تدمير الرجل و الصيطرة عليه بل يتعدى إلى إنشاء كتائب مسلحة لحماية النساء في المؤسسات الحكومية أي أن هذا المجلس الخبيث يريد تأسيس جماعات مسلحة أي مليشيات للبلطجة و النهب إسوة ببقية الأحزاب السياسية و العصابات و الأقليات القومية المنتشرة في طول البلاد و عرضها.

إذن فأهداف هذا المجلس هي أهداف النسويات في العالم , و النسويات أو الأنثويات هن ناشطات و أنصار التيار الأنثوي (feminism).

و تُخْتَصر هذه الأهداف في قول النسويات:

- أنهن يردن مساواة المرأة بالرجل في كافة المجالات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية.

(و هذا هو الظاهر بينما الهدف الباطني هو صيطرة النساء على الرجال و نشر المازوخية الفكرية بين الشباب و تحويل الرجل إلى درواس للمرأة و ذكر نحل للتلقيح يُرمى في الكناسة بعد استعماله و الدرواس لمن لا يعرفه كلب ضخم يستعمل للحراسة).

إذن هدف نسويات المجلس القومي للمرأة الليبية هو تكريس الفكر السادي المازوخي بين المرأة و الرجل , فالرجل هو عبد المرأة و يجب أن تصيطر عليه بالمزيد من القوانين و القيود في مسألة الزواج و الطلاق بحيث يبقى الزوج تحت حذاء زوجته طوال عمره و يعيش في رعب و خوف و تكون الكلمة الأولى و الأخيرة لها في البيت.

....

....

و أتذكر ذات مرة أني شاهدت الفنان المصري شريف منير يقول في برنامج أنا و بنتي:

- ... يعني كيف يفكر الرجال؟ حين يتنازل و يبدأ بالتغاضي عن زوجته من سبب أنه مقهور , من سبب أنه يخاف أن يفقد أولاده فحينئذ تبدأ الزوجة بالركوب عليه كالدابة , لأن الرجل يحب أولاده و هي ناشز شرسة الأخلاق داخل البيت, فهي تشتمه و يعلو صوتها عليه فتبدأ بتهديده بالطلاق و هو يرفض و يقول لها لن أطلقك لأجل الأولاد , لن أستطيع, فتصر هي و قد عرفت نقطة ضعفه (و هي أولاده) على التهديد بالطلاق فحينها ينخ لها و يبدأ بطاعتها فتركب عليه.

و هذا المصطرك (المصطرك هو الفيديو أو فيلم السينما) موجود في المتنفس (اليوتيوب) باسم " أنا و بنتي , شريف منير , الست لما تعرف نقطة ضعف الراجل بالبلدي كده بتركبه" , و القناة هي قناة Ondrama و يمكنكم البحث عنه.

....

....

و من أهداف المجلس القومي للمرأة الليبية أيضا " الدفع نحو مرحلة استقرار يقودها رجل و امرأة " و هذا قولهن الظاهر في قائمة أهدافهن (و أما الهدف الباطني فهو مرحلة تقودها امرأة و معها رجل مازوخي يركع تحت حذائها ليلثمه و يلعقه صباحَ مساءَ , و يعبدها من دون الله حتى يأتيه الموت , و العبادة لمن لا يعرفها هي الطاعة بلا معصية) , و بما أن كل أهدافهن المشبوهة و خاصة إنشاء جماعات مسلحة تابعة لهن لا تتم من دون ضخ مالي جمّ فهن يسعين للتعاون مع مصرف ليبيا المركزي " فيما يتعلق بدعم و تمكين المرأة الليبية اقتصاديا و ماليا ".

فنحن اليوم في نقطة تغير تاريخية في ليبيا, فخطة صموئيل زويمر جرى و يجري تنفيذها في كل العالم العربي.

و سوف نصل إلى ما وصلت إليه مصر من انهيار كامل في المنظومة الأسرية و المجتمعية إذ بلغت حالات البدعة التي يسمونها بالخلع في مصر إلى 254,777 حالة خلع أو طلاق سنويا, أي أنها ربع مليون حالة طلاق أو خلع.

و أما حرمان الأب من رؤية أولاده فقد انتشر في مصر كانتشار الهواء و الماء من حولك , و إن لم تصدقوني فتابعوا أشرف تمام في كتاب الأوجه (كتاب الأوجه هو الفيسبوك و المَغْرَد هو التويتر) , و أشرف تمام إن كنتم لا تعلمون عنه شيئا كان رئيس مركز المعلومات و دعم اتخاذ القرار في رئاسة الوزراء في جمهورية مصر العربية , و لدى أشرف تمام قناة في المُتَنَفَّس الإعلامي للناس (اليوتيوب) و يمكنكم البحث عنها , و سأعرب كلمة اليوتيوب بالمتنفس لأن الموقع صار متنفسا لكل مظلوم و مقهور لكي يقول كلمته بعيدا عن قيود الإعلام الحكومي.

و بعض فوانص القانون و المجتمع المدني في ليبيا يكذبن فيقلن أن زيادة حالات الطلاق مرجعها إلى الظروف الاقتصادية كغلاء المعيشة و الحرب الأهلية الليبية و تعاطي الزوج للمخدرات و غياب التقارب الفكري و تفاوت المستوى الاقتصادي بين زوجة خرجت من أسرة غنية إلى زوج فقير و الفارق العمري بين الزوج و الزوجة و إلى " الإفراط في صرف منح الزواج" و الخ من أكاذيب, و كل هذا مردود عليه.

فأما الظروف الاقتصادية و الحروب فليست عذرا لخراب البيوت و عدم الصبر على البلاء, لأن البلاء و الفتنة قدر من الله عز و جل و الدنيا دار اختبار و الدار الآخرة هي دار القرار, يقول الله تعالى جده:

- كل نفس ذائقة الموت و نبلوكم بالشر و الخير فتنة و إلينا ترجعون.

و يقول عز و جل:

- و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون, أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولئك هم المهتدون.

و نحن مسلمون, فكيف لا نصبر على شدائد الدنيا التي هي جسر الناس إلى الآخرة.

و أما تحدثهن عن تعاطي المخدرات فهذا كلام مبالغ فيه, لأن النساء و الرجال سواء في هذا الأمر و هذا ناتج من غياب دور الأب في تربية الأولاد و هذا الغياب نتاج لهذه القوانين التي جعلت المرأة أقوى من زوجها.

و أما حديثهن عن الفارق العمري فهذا كذب لأن هذا الأمر كان منتشرا طوال تاريخ الإسلام و لم يتحدث أحد عن هذا الأمر و لم يلحظ الناس شيئا عنه , و لم يكن الزواج بين الكبير و الصغيرة منتشرا بين المسلمين فقط بل في الغرب أيضا

و إلى زمان قريب , و كذلك قولهن عن الفارق المالي بين زوجة من أسرة غنية و زوج فقير فهذا يُرد عليه بنفس كلامنا الأول عن الظروف الاقتصادية.

و أما التقارب الفكري الذي يتحدثن عنه, فنقول نعم , فكيف يمكن التوافق فكريا بين الفوانص العلمانيات المفلوتات من ولاية الرجل على المرأة و بين زوج يدخل الحياة الزوجية طالبا الاستقرار و الزوجة المطيعة فإذا به أمام ناشز, فهنا الداء, ففتاة اليوم تختلف عن فتاة الأمس.

فطريقة تفكير فتاة اليوم هي نفسها طريقة تفكير الممثلة غادة عادل التي قالت لطليقها المنتج مجدي الهواري في حلقة من برنامج "بصراحة مع" في قناة mbc السعودية (بثت الحلقة في سنة 1443 هـ):

- لقد كنت مؤمنا بي و بموهبتي لكن مشكلتك هي حبك و غيرتك و خوفك علي, لقد جثمت على صدري و تحكمت بي, لقد منعتني بسبب غيرتك من عدة مصطركات, لقد ظللتُ أكتم في قلبي حتى انفجرت و ذهب صبري, لقد كنت مستبدا في البيت إذ مارست علينا جميعا أنا و الأولاد دور الأب و أفرطت في التوجيه, أما الآن و بعد طلاقنا فأنا أعطيت الأولاد الحرية الكاملة, لقد وضعني أبي في صندوق ثم وضعتني في صندوق بعد زواجنا, لقد كرهت الحماية المفرطة منكما, و أما أنا فلم أرد سوى أن تكون لي شخصيتي و حياتي و حريتي , لقد

أحببت حياتي الآن إذ أصبحت حرة في قراراتي و لا أحد يحكمني, يجب أن يكون أساس العلاقة بين الزوجين هو وجود مسافة بينهما و ألا يحكم أحدهما الآخر, أنا أحسد الرجل على خروجه من البيت متى شاء و بقائه خارجه كما يشاء.

هذه هي المشكلة.

هذه هي فتاة اليوم المتقلبة التي لا تريد طاعة الزوج و لا تريد أن تطبخ و لا أن تكنس البيت, فهي تريد المال للتسوق و السفر و السياحة و تريد سيارة لقيادتها و تريد الخروج كل يوم و تريد مصادقة الفتيان و تريد أن تلبس السروال الضيق و أن تخرج بالماكياج كاملا كما تفعل فوانص المجلس القومي للمرأة الليبية الذي انتشر في كل بقاع ليبيا كالورم في غفلة و غباء من المجتمع الليبي.

فتاة اليوم عرفت أن القانون رقم 10 لسنة 1984 يعطيها كل شيء لذا انتشرت موضة إنجاب طفل أو طفلين ثم تهرب الفتاة بهما لتطلب الطلاق, فهي ضمنت طفلا لتجده ليؤنس وحدتها حين تصير عجوزا , و يدخل الزوج بعدها في دوامة المحاكم الليبية التي تدمره و تدمر أهله ماليا و نفسيا و لا يمكن أن يثبت الرجل أنه مظلوم لأن القضاء الليبي قضاء علماني مخترق و كثير من القضاة و القانونيين زنادقة و علمانيون و نصارى مستترون و مرتشون لذا فهم يحكمون للمرأة بكل

شيء و يجردون الزوج من كل شيء و هم الذين يعارضون أي تعديل على قانون الحضانة.

هذا هو سبب زيادة حالات الطلاق.

لقد حدث التغير الاجتماعي أو نحن على أبوابه في ليبيا.

إن التغير يحدث للإنسان, فالإنسان ليس قانونا من قوانين الفيزياء و الكيمياء التي لا تتغير, و الإنسان ليس جبلا أو هضبة أو سهلا يحدث فيه التغير بعد ملايين السنين, بل قد تجد الإنسان متغيرا في بضع سنين فقط.

....

....

و معمر القذافي الذي شرع القانون رقم 10 لسنة 1984 لينال لقب محرر المرأة كان في سنة 1391 هجرية رجلا آخر بفكر آخر, تقول جيهان السادات في برنامج شاهد على العصر :

- لقد كان السادات يحب القذافي لكن القذافي كان غريبا في سلوكه, فلقد قال مثلا في يوم مؤتمر المرأة كلاما عجيبا أثار كل النساء فيه و أصابهن بالرعب, إذ أتى بسبورة و كتب عليها أن المرأة لا يجب أن

تطالب بحقوق كالتي تطالبون بها إذ أنها تصاب بالحيض فكيف تعمل, ثم كيف تقاتل و تدخل الانتخابات و هي حامل و الخ من كلام غريب استفزنا حتى قامت أمينة السعيد و قالت له " أنا لا أصاب بالحيض و لا أحمل لأنني عجوز و لكني أساهم في بناء بلدي", ثم خرجنا بعد أن حدث هيجان و ثورة من النساء داخل قاعة المؤتمر, فكيف يريد هذا الرجل أن يوحد ليبيا و مصر و هو يريد محو دور المرأة , كيف يوحدنا و هو يقول أن مكان المرأة هو البيت و دورها هو تربية الأولاد و لا دورَ آخر لها , و لما جاءنا معمر القذافي في القناطر بعد انتهاء المؤتمر قلت له أنني غاضبة منك فقد جعلت المرأة كالبقرة, فنحن نصف المجتمع و لنا دورنا, و لما قال لي أن أمينة السعيد امرأة سيئة لأنها تشرب الخمر و تدخن السجائر رددت له الجواب بأن عبد السلام جلود و بعض زملائه في مجلس قيادة الثورة الليبي يشربون الخمر و أن شرب أمينة السعيد للخمر هو من صميم حريتها الشخصية, فرجالك يشربون الخمر و الأولى أن تنهاهم قبل أن تنهاها فاندحض و صمت.

ثم تغير معمر القذافي بمرور الزمن و اختلاطه بالتيارات اليسارية و العلمانية في العالم العربي و العالم و بتأثير من حوله من مثقفين و صار هو الرجل " الذي جعل للمرأة شأنا عظيما " و أراد أن يكون محرر المرأة, فحررها حتى هتفت النساء في أيامه " لا نريد الفرّاشية بل نريد البدلة العسكرية" , و الفرّاشية في ليبيا

ملاءة بيضاء تستر المرأة من رأسها إلى قدميها فلا يظهر من المرأة سوى عين واحدة لترى بها (كلباس نساء طالبان الآن) , فرمت المرأة الليبية الفراشية في الكناسة و لبست البدلة العسكرية و ركبت على الرجل الليبي بقانون رقم 10 و انبطحت في المعسكرات أمام الضباط الذين كانوا يحملقون نحو استها و مفاتنها ثم آلَ أمر المرأة الليبية إلى أن سقطت أسيرة في حرب تشاد و كلنا يتذكر صباح العبيدي التي أسرها التشاديون سنة 1407 هجرية, فما علاقة النساء بالجيوش و الشرطة و القضاء , و النساء مخلوقات ضعيفة البدن ناقصات العقل لولا فتنة حقوق المرأة و تحرير المرأة التي اجتاحت القلوب.

و معمر القذافي في نهاية الأمر رجل فيه حسنات و سيئات.

إن مكان المرأة هو البيت في ظل زوجها أو أبيها أو أخيها أو عصبتها و ليس في الشوارع بين الرجال و السفلة و الهمج حيث تتعرض لألف فاجر و كلٌّ يطمعُ في قضاء وطرٍ منها.

....

....

و هذه مصطلحات لا بد من معرفة معناها قبل المضي قدما في كلامنا.

كلمة الهجالة كلمة عربية مشتقة من الجذر هجل , و الهوجل هي الأرض المضلة التي لا علامات فيها يهتدي بها الإنسان , فالهجالة هي المرأة المطلقة الضالة المضلة , و قديما قالت العرب في ليبيا:

- الهجالة لا تستطيع تربية الرجال.

و أما الزندقة فهي ما يعرفه الناس اليوم بالإلحاد (atheism) و الزنديق هو الملحد (atheist) و هي ألا تصدق بوجود الله و لا اليوم الآخر و أن تصدق أن الإنسان خُلِقَ من غير شيء , و تعرف الزندقة في العربية أيضًا بالدهرية, و رجل دهري أي زنديق لا يؤمن بوجود الخالق و لا اليوم الآخر.

و العلمانية (secularism) هي فصل العقيدة (religion) عن الحياة الاجتماعية و السياسية للمجتمع.

و العلمانيون و الزنادقة يسمون أنفسهم بالتيارات المدنية أو تيارات المجتمع المدني أو تيارات التنوير أو الحداثة أو التيار الإنساني.

أما الشعوبية فهم الذين يكرهون و يحتقرون العرب و اللغة العربية.

و تختلف الشعوبية عن العنصرية , فالعنصري هو الذي يعتقد أن جنسه أعلى من الآخرين و تُبْنَى العنصرية عادة على اللون أو القومية أو الوطنية.

و أما القومية فرابطتها هي اللغة, يقول الله تعالى " و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" , فكل من تكلم اللغة العربية عربي فلا علاقة للعروبة بالتناسل أو النسب.

و أما كلمة الفوانص فهي جمع لكلمة فانص و المثنى فانصتانِ, و أصلها من جذر فنس لكنْ الليبيون لفظوا الفاء الصادية التي تلفظ بالألف الصادية فنتج عن ذلك تحول السين إلى صاد لأن للسين نفس مخرج الصاد في الفم, فالسين تلفظ مع ألف فاعل فإذا لفظتها مع ألف قادر صارت صادا, و هذا موضوع يسهب شرحه , فلذا هذه هي الحروف بمخارجها اختصارا.

س ص , د ض , ذ ظ , ت ط , ع – , ب – , – ق, ك – , ل – , ن – , ش – , ف – , م – , ج – , – غ, أ , ر ه و ي ا , – خ, ث – , ز – , ح –.

و فنس يعني الفقر المدقع , و هذا الفقر يحمل صاحبه على الحملقة بعينيه نحو الطعام من سبب الجوع حملقةً مخيفةً أو جريئةً, و استعمله الليبيون للدلالة على النساء قليلات الحياء اللائي يحملقن إلى الرجال بجرأة و لا يهبنهم.

فالفانص هي المرأة قليلة الحياء شديدة الجرأة التي تحملق نحو الرجال.

و الناشز هي المرأة المستصعبة العاصية على زوجها في المنزل.

و الطامح من النساء هي التي تبغض زوجها و تبصر نحو غيره و ربما زنت بغيره.

و الجامح هي التي خرجت من بيت زوجها من دون إذنه إلى أهلها قبل أن يطلقها أي التي تهرب من بيت الزوج و هذه الحالة تنتشر في ليبيا إذ تهرب الجامح بالأولاد إلى بيت أبيها الديوث لتتحصن بداخله و تحرم زوجها من أولاده ثم تفتري عليه بأنه رماها في بيت أبيها ثم تعلن حربها عبر المحاكم لتنهب ماله و وقته و تدمر حياته لأن الطلاق صار سهلا في ليبيا و انتشرت بدعة الخلع التي لا توجد في القرءان و صار القاضي يطلق نساء الرجال و كأنه فحلهن.

....

....

و العالم العربي يشتعل من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي بانفلات المرأة من قيد الأب و الزوج و الأخ و العصبة, و كلكم يرى تونس و ما يحدث فيها منذ أن حرر الحبيب أبو رقيبة نساءها, فقد صارت تونس بيت دعارة كبيرا, و مصر في جهنم أرضية يتألم رجالها من القهر و الذل و المهانة مما يجري عليهم من نسائهم و قد صار الرجل المصري كالطرطور في بيته تضربه زوجته بالشبشب فلا يستطيع فتح فمه إلا عند طبيب الأسنان.

و إن كان المجتمع الليبي يظن أنه بعيد عن هذا الحريق و الانفلات النسائي و تجبر الفوانص فهو واهم, فقد وقع هذا الأمر على من هو أقوى منه ألا و هو حاكم دبي محمد ابن راشد آل مكتوم الذي تقدر ثروته بأربعة مليارات دولار بالإضافة إلى نفوذه السياسي و سلطانه المطلق إذ مرغت ابنتاه اسمه و سمعته في الوحل و طعنتا هيبته و مكانته الاجتماعية حين فرتا و قد استطاع أن يعيدهما باستخدام القوة من إنكلترا و ساحل الهند و من العجاب أن تقول ابنته لطيفة لتبرر ميلها نحو الفجور و التحرر من كل قيد:

- والدي لا يهتم سوى بسمعته.

فهي لا تريد من والدها أن يهتم بسمعته و لا مكانته الاجتماعية لأنها تريد حريتها و أن تعيش كما تعيش النساء في الغرب و الأغرب أن يقال أنه خطفهما و هذه نفس الكلمة التي يستعملها أهل الدياثة في ليبيا لوصف كل أب يأخذ أولاده و يرفض إعادتهم إلى الهجالة و أهلها.

فكيف يخطف الإنسان شيئا له؟ يا أيها الجاهلون إن الأولاد لأبيهم و ليسوا لأمهم, يا أيها اللقطاء إن الأب لا يخطف أولاده بل يستعيد حقه.

و الذي فعله محمد ابن راشد آل مكتوم ليس خطفا بل هذا من صميم حقه كأب و لن تحبوا أولاده أكثر منه, و من حقه أن يحفظ عرضه و شرفه , فإن ابنته

لطيفة هي العاقة العاصية التي مرغت هيبة و سمعة والدها في الوحل و الطين...
إن محمد ابن راشد آل مكتوم رجلٌ في زمنٍ قلّ فيه الرجال بما فعل.

ثم هل يكون الإنسان إلا بسمعته و خلقه الطيب و الذكر الحسن بين الناس.

لكن البرمائيات العلمانية لا ترى ذلك, و أنا أسمي العلمانيون بالكائنات البرمائية لأنهم يشابهون هذه المخلوقات من وجه أنهم ينتقلون مخادعين بين أقوال مختلفة كانتقال الضفادع و التماسيح بين الماء و البر, فمرة يحتجون بالأقوال الشاذة في التراث الفقهي الإسلامي و مرة تراهم في عالم قوانينهم الوضعية.

و أخت لطيفة شمسة في الاستهتار مثلها و قد تكون أسوأ, و استطاع الشيخ محمد ابن راشد آل مكتوم أن يلتقطها بالقوة بواسطة رجاله المسلحين من أمام حانة خمور في مدينة كامبردج بعد أن هربت و أرادت أن تعيش على " حلِّ شعرها" في بريطانيا و أعادها إلى دبي في سفينة خاصة رغم أنفها, و لطيفة سيئة الذكر كانت قد فرت مرتين أيضا, و في المرة الثانية عبرت الحدود إلى سلطنة عمان ثم ركبت سفينة نحو سواحل الهند إلا أنها سقطت في أيدي الهنود الذين سلموها لوالدها من سبب نفوذه.

ثم جاءته مشكلته مع زوجته الأميرة هيا ابنت الحسين الهاشمي و هي أخت ملك الأردن التي فرت بولديهما الجليلة و زيد إلى بريطانيا و دخل معها في قضية

حضانة داخل المحاكم البريطانية التي جردته من أي ولاية على ولديه, و حكمت لها المحكمة البريطانية بتسوية بلغت قيمتها 554 مليون جنيه إسترليني و لا أعلم كيف جرى التحاكم داخل محكمة كافرة لا علاقة لها بالإسلام أو مذاهبه.

لكن لا تثريب على لطيفة و شمسة و إنما اللوم على والدهما محمد ابن راشد آل مكتوم فهو الذي علمهما تعليما غربيا أو على الأقل هما قد تعرضتا لتأثير غربي واضح, فقد شاهدتُ لطيفة و هي تتكلم الإنجليزية بطلاقة تثير الإعجاب فَلِمَ تُلام هي أو أختها و أبوهما هو من جلب على نفسه كل هذا البلاء لما جعلهما عرضة للتأثير الغربي.

و لو كان متعظٌ مكانه اليوم لغير قوانين الزواج و الطلاق و الحضانة في دبي و لعاد بسن انتهاء الحضانة للذكر و الأنثى إلى السابعة كي ترتدع كل نساء دبي عن فعل كل فعل يشبه ما صدر من لطيفة و شمسة و غيرهما.

فهل أنتم أقوى من محمد ابن راشد مكتوم؟ هل يستطيع أي منكم أن يجلب ابنته أو أخته أو زوجته من أوروبا إذا فرت إحداهن إليها بل أنتم واهمون إن كنتم ظانين ذلك يا أهل ليبيا.

و ليس موضوع الحضانة فقط هو الذي يجب معالجته في دبي أو ليبيا أو غيرهما, بل لقد أثبتت المرأة بلا حجة للجميع و على رأسهم جماعة حقوق المرأة أنها لا

تستحق التعليم الجامعي, فكلما كان تعليمها متقدما كانت أخف و أسرع إلى تلبية دعوة الشيطان للهروب من سلطان والدها و التمرد على زوجها , لذا فأنا أرى أن أقصى ما يجب أن تبلغه الفتاة في التعليم هو المرحلة الإعدادية أو الثانوية ثم يكون مكانها المنزل , و بعد ذلك تكون تسليتها الكتب و الروايات و المجلات و الخ.

و قد أدرك بعض الغربيين العقلاء خطورة تعليم المرأة لكن بعد فوات الأوان و انفلات الأمور من صيطرتهم إذ يروي الصحفي المصري محمد حسنين هيكل (ت 1437 هـ) في أحد كتبه:

- .. و روى لي إدوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا أنه كان ذات مرة يقابل خالدا ملك السعودية و كان خالد يحاول أن يعرض عليه صورة التقدم في السعودية و ضمنه ما تحقق في مجال تعليم البنات, و قال لي هيث أنه قاطع ملك السعودية حينئذ قائلا لماذا تعلموهن إن تعليمهن خطر و كانت تاتشر في باله حين قال ذلك.

و ليس التعليم فقط, بل يجب إلغاء عمل المرأة فورا من دون تأخير لأن عملها لغير ضرورة أشد و أخبث , و على الدولة مسئولية أن تجعل للنساء مرتبات شهرية بدلا من البحث عن العمل في الشوارع.

و قصة أخرى من الخليج و هي قصة عائشة القحطاني من قطر التي فرت إلى بريطانيا ثم ظهرت لتقول:

- لقد اتخذت قرارا مجنونا لأكون حرة.

و قال الإعلام الغربي عنها أنها كانت تتعرض للتعنيف.

و أخرى قطرية اسمها نوف المعاضيد و هي فتاة جلبت العار لوالدها و لبلادها قطر بعد أن هربت سنة 1441 هـ, فقد سرقت هاتف والدها و استعملته لإصدار إذن سفرٍ لها ثم فرت من نافذة المنزل, و سافرت أولا إلى أوكرانيا ثم إلى بريطانيا و ظهرت بوقاحة و هي فرحة لتقول ضاحكة :

- Hi everyone , إن المرأة القطرية تحت سن 25 تحتاج لتصريح من ولي أمرها لكي تخرج من البلد, احححححمم , زين , طيب ليش؟ فيجيب أهلك أن هذه هي ال culture خاصتنا , هههههه , و إن كانت متزوجة فلها أن تخرج من دون تصريح إلا إذا ذهب الزوج إلى

القاضي و استخرج حكم منع من السفر , أين جريمتها ....

ههههههههه.

ثم صرخت ضاحكة فجأة:

- يااااا الله , هههههههه , طيب الsingle , بعد ال25 , يستطيع أبوك أن يستخرج منع سفر ضدك من النيابة العامة , إذن محكوم عليك life in home prison بدون جريمة , هههههههه , احممم , مخابرات , comedy , زين.

ثم تقول نوف:

- لا توجد حماية قانونية للمرأة و الطفل المعنفينِ , فلا توجد حماية للمرأة , أنا أريد حماية فلا توجد.

أظنكم رأيتم و قرأتم التفاهة بعينها و لاحظتم كذلك أن كلامها عربي و أعجمي أي أن ثقافتها و تعليمها غربي و هذا ما نفعله بمجتمعاتنا من إفساد في بلادنا بتكاثر المدارس باللغة الإنجليزية التي تنشر الثقافة الغربية.

ثم كلامها عن مسألة تعنيف المرأة و الطفل و التنمر على المرأة التي يريدون جعلها جريمة يسجن بسببها الرجل فهذا تعضيد للانفلات و هو ألا يستطيع الرجل أن يحكم بيته و إذا جرؤ و نهر زوجته أو ابنته أو أخته فمصيره سوف يكون السجن بتهمة التنمر أو التعنيف و هذا ما تسعى إليه فوانص المجلس

القومي للمرأة الليبية إذ نشرن في صفحتهن في كتاب الأوجه أنهن يردن تشريع قانون يجرم التنمر عبر وسائل الإعلام و كافة وسائل الاتصالات و تشريع قانون لحماية المرأة من العنف.

و سوف يقع على المجتمع الليبي ما وقع على محمد ابن راشد آل مكتوم و ما حدث في قطر و السعودية و الإمارات و غيرهن من دول الخليج من هروب للفتيات و جلب العار للبلد و الأسرة و الأب و العصبة و القبيلة إذا لم نتدارك أمرنا, فالدنيا تغيرت و التغريب على أشده اليوم و رياح التغيير تهب على مجتمعنا و فتاة اليوم ليست فتاة الأمس و هروب الفتيات صار موضة كما صار زواج الفتاة قصير الأمد لكي تنجب طفلا أو طفلين ثم تهرب بهما إلى أبيها الديوث موضة في ليبيا أيضا.

و أول تدارك الأمر هو إعادة سن الحضانة إلى سبع سنوات أو أقل.

و ثانيا يجب منع القاضي من التدخل فيما ليس له سلطان عليه ألا و هو الولاية الأبوية على الأسرة فلا دخل للقاضي في تعليم الأولاد و لا أموالهم و لا سفرهم و لا حكم الأب و ولاية الأب على زوجته و أولاده.

مرة أخرى أقول بعض النصائح للمجتمع الليبي و لأهل العدل و الإنصاف في المجلس الأعلى للقضاء و مكتب النائب العام (إن كان فيهما) و للتيار السلفي

في البلاد (و أنا لست سلفيا و لا أنتمي لمدرسة فكرية معينة و لا أنتمي لأي تيار بل أنا رجل من عالم الكتب و الثقافة و ليس لي سوى قلمي) و للصوفية كذلك , و كلامي ليس لدار الإفتاء و غلاة مذهب سحنون صاحب المدونة التي تحكم بأحكام الإباضية في الحضانة و أنا لا أخاطبهم لسبب ألا و هو أنني سمعت ممن أثق به أن الناشز عندهم لا يسقط حقها , و هذا القول يشجع النساء على عصيان أزواجهن يا دار الإفتاء.

, فأقول أن الحرب الغربية الثقافية على ليبيا و العالم العربي و المغرب العربي خاصة تتركز على شيئين حاليا:

1 – الأسرة و تفكيكها و إخراج الأب من أي دور فيها.

2 – اللغة العربية.

فأما حل مشكلة الأسرة و ضبط وضعها و إعادة الأمور إلى نصابها فأمرنا فيه أسهل من غيرنا لأننا لم نَصِرْ بعدُ إلى ما صارت إليه مصر و تونس حاليا بل وضعنا أشبه بالوضع الأسري اللبناني.

ففي لبنان لا تزال الحضانة تنتهي بعد أجل لذا يستطيع الأب استرجاع أولاده و ضبط الأمور إذا أمكن للصغار و أما الذين بلغوا النكاح فيكون من الصعب ضبط أمورهم لأن أيام المراهقة هي أصعب الأيام في التربية.

و في ليبيا لا تزال للرجل بعض الهيبة و إن كانت تزول و تتلاشى الآن و هذا وجه الشبه مع لبنان.

فسن الحضانة في لبنان يختلف باختلاف الطوائف اللبنانية على النحو التالي,

فعند الشيعة سنتان للذكر و سبع سنوات للأنثى.

و عند الدروز 12 سنة للذكر و 14 للأنثى.

و عند السنة 12 للذكر و الأنثى بعد أن رفعوه مؤخرا بسبب الضغوط عليهم , و كان سن الحضانة عند السنة 7 سنوات للذكر و 9 للأنثى.

و عند النصارى الكاثوليك سنتان للذكر و الأنثى.

و 14 للذكر و 15 للأنثى عند النصارى الروم الأرثوذكس.

و المجتمع اللبناني يتعرض للضغوط الغربية اليوم لتعديل سن الحضانة بحيث تكون أبدية عند الأم إلى حين الانتهاء من تفكيك النظام الأسري العربي, فإذا فقد العرب عاداتهم و تقاليدهم غيروا القوانين كي تكون مثل قوانينهم.

و إني أنصح كل اللبنانيين نصارى و مسلمين بألا ينصاعوا لهذه الضغوط و إلا فسوف يقع في مجتمعهم من الانفلات و الفشل ما نعانيه في ليبيا الآن, بل نصيحتي أن يتم تخفيض سن الحضانة لكل الطوائف إلى ست سنوات فقط و

هذا هو السن الذي يستغني فيه الطفل عن خدمة النساء فيستطيع أن يأكل و يشرب بنفسه و الدليل على ذلك هو أنه سن دخول المدرسة و هذا هو مقصد الفقهاء و معنى اجتهاداتهم.

و نحن لا نزال عند أبواب التغيير الاجتماعي في ليبيا و نستطيع العودة بعقارب الساعة إلى الوراء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه, فالحل يكمن في جعل انتهاء مدة الحضانة عند السابعة كما في كتب أصحاب الحديث و هي السن التي يستغني فيها الولد ذكرا أو أنثى عن خدمة النساء (أو جعلها سنتي الرضاعة فقط كما في القرءان (و أنا مع القرءان) أو جعلها ست سنوات لأن الطفل يستغني فيها عن خدمة النساء و الدليل هو أنه يدخل المدرسة في هذه السن), فيعود الطفل حين يبلغ السابعة إلى أبيه و عصبته و سوف تلاحظون على الفور أن حرائق الطلاق في طول البلاد و عرضها ستنطفئ و ربما يقل عدد حالات الطلاق إلى صفر في غضون أشهر قليلة و سوف تتقزم الفوانص فورا بدلا بهذا التفرعن.

....

....

الخلاصة

1 – إننا في مرحلة حرجة من حياتنا المجتمعية بعد هذا التفكك الأسري و الانحلال الأخلاقي الذي نراه من حولنا.

2 – و أن خطة إخراج الأب من حياة أولاده بدأت منذ أيام صموئيل زويمر, و أن حرمانه منهم قد انتشر بفعل الهجالات و بتآمر و تواطؤ من القضاء الليبي الذي يصيطر عليه الزنادقة و الفاسدون و النسويات.

3 – و أن الزنادقة و العلمانيين منتشرون داخل الكيان القضائي و التشريعي الليبي الذي يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية ألا و هي المجلس الأعلى للقضاء و مكتب النائب العام و البرلمان الليبي لذا فإن أي محاولة للحوار مع هذا الكيان مقضيٌّ عليها بالفشل و لن تنجح لأن الخبثاء مصرون على المضي قدما في خطتهم و هي فرائض غربية قبل أن تكون إرادة منهم.

4 – و أن لا وجود لحل إلا المقاومة , فأما أنا فليس لي سوى قلمي و هذا الذي سأواجههم به , و أما أنتم فقاوموهم برفض تسليم أولادكم و برفض كل أمر ولائي و بما تستطيعونه , و كلّ بقدرته, و أهم نقطة هي عدم تسليم الأولاد للهجالات و العلمانيين و احذروا من نقطة مهمة جدا ألا و هي أن الهجالة حين تخطف الأولاد و تهرب بهم إلى بيت أبيها الديوث فإن القضاء و شرطته القضائية

المجرمة المرتشية الفاسدة يتعمدان تعطيل و تأخير العار الذي يسمونه بإذن الزيارة و يطوّلون المدة و التنفيذ حتى ينسى الأولاد أباهم و تنقطع العاطفة و تزول المشاعر نحو الأب, لذا فلا تهتموا و لا تسعوا لإذن العار هذا بل اقتنصوا الفرص و تربصوا حتى تأخذوا أولادكم و تلتقطوهم بسرعة من أي مكان أو من بيت الديوث أبي الهجالة و حينئذ اهربوا بأولادكم قبل فوات الأوان و إن دخلتم الصحراء الكبرى.

5 – و لقد علمتم الآن أحكام الحضانة في مذاهب الإسلام و أن الولاية الكاملة للأب في كل شؤون الأولاد فلا تخدعنكم حمير الفقه و خاصة مالكية سحنون و شياطين الإنس و برمائيات العلمانية.

6 – و أن لا وجود لشيء اسمه الحضانة في القرآن الكريم و إنما هما سنتا الرضاعة و أن الأولاد لأبيهم فهو المولود له بنص كتاب الله و اللام للاستحقاق و الملك كما يقول سيبويه و أن مكانهم معه و أن ليس للأم المطلقة من حق سوى الزيارة فلا تمنع عنهم و لا يمنعون عنها.

7 – و أن الحضانة في مذهب أهل السنة و الجماعة تنقسم إلى:

أ – أصحاب الحديث و هم مالك و الشافعي و أحمد ابن حنبل و هي تنتهي عند هؤلاء حين السابعة , فأما الذكر فله الخيار فهو بين أبيه و أمه فمرة هنا و

مرة هناك إلا إذا تزوجت أمه فهو عند أبيه بلا تخيير , و أما الأنثى فهي عند أبيها بلا تخيير و لا خلاف , و الولاية الكاملة للأب على الأولاد.

ب – و أما الحضانة عند البخاري فهي للرجال , فهي للأب أولا فإن غاب فهي للعصبة فإن تساوت مكانة المتقدمين تم التفاضل بقرابة نساء المتقدمين من الولد.

ج – و أما الحضانة عند الأشاعرة فهي تبع للحنابلة فهي تنتهي حين السابعة و يكون للذكر الخيار و الأنثى عند أبيها بلا خلاف.

د – و أما الحضانة عند الأحناف فهي تنتهي للذكر حين يأكل و يشرب بنفسه و للأنثى حين تحيض و اتفق الأحناف على أن حضانة الأنثى تنتهي حين التاسعة.

8 – و ليبيا كما تعلمون تنقسم إلى طوائف دينية كثيرة و ليست على مذهب واحد كما يزعم الجاهلون و الكاذبون و الأغبياء و هي:

أ – التيار السلفي و هؤلاء كثرة في كل مكان , و هم تبع لأحمد ابن حنبل كما أن سلفية السعودية تبع لأحمد ابن حنبل فالحضانة عندهم تنتهي حين السابعة للذكر و يخير أي يترك بين أبيه و أمه فمرة هنا و مرة هناك , و أما الأنثى فهي عند أبيها بلا تخيير.

ب – الأشاعرة و الصوفية و هم كثرة لأن أكثر أنصار معمر القذافي أشاعرة و صوفية و على رأس هؤلاء حمزة التهامي مقدم برنامج نداء ليبيا في قناة الجماهيرية لذا فحكم الحضانة لديهم هو نفسه لدى السلفيين, لأن أبا الحسن الأشعري يتبع أحمد ابن حنبل في الأحكام الفقهية.

ج – جماعة دار الإفتاء و هؤلاء أتباع سحنون و مدونته و هم قلة مكروهة بين جمهور الليبيين و رغم ذلك فإن ضجيجهم عظيم و يلبسون على الناس بقولهم أن ليبيا مالكية المذهب و هذا غير صحيح لأن الواقع و العلم يكذبانه, فتلاميذ أحمد ابن حنبل في الواقع هم الجمهور , و في العلم فإن مالكا لا علاقة له بما جاء في مدونة سحنون لأن مالكا تكلم في موطئه عن عاصم و كان عاصم بين الثالثة و الخامسة و لم يصل إلى السابعة و الشافعي فسر و ذكر ما كان عليه مالك لأن الشافعي تلميذ مالك فهو أعلم به من غيره كما أن بعض نسخ الموطإ لا يوجد فيها أي شيء عن الحضانة.

د – الإباضية و هم قلة و لكن حكم الحضانة لديهم هو المطبق في قوانين ليبيا.

....

....

ثم إن حجتهم عن الحضانة داحضة من وجه آخر و هي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد تربى عند جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب و لم يأخذه أخواله, فهذا هو الحكم و هو أن الحضانة للرجال العصبة , و قد اختار الله لنبيه صلى الله عليه و سلم ما اختاره لنا فعن أي حضانة للنساء تتكلمون و الله من فوق سبع سموات لم يرضَ لرسوله في طفولته إلا أن يعيش في كنف عصبته و بينهم , و أما نحن فقد و الله جعلتم أولادنا لقطاء و آباءهم أحياء , فأي عار و أي شنار هذا.

....

....

رجع إلى كلامنا

هـ — و الطائفة الخامسة خليط العلمانيين و الزنادقة و النسويات الذين ينتقون ما يلائم أغراضهم من أقوال فقهية شاذة, فهم في بر الشريعة مرة و في ماء العلمانية الكدر مرة , و هم كثرة بالهمج و الأغبياء الذين يتبعونهم , و السلطان و القضاء بيدهم و قوانين ليبيا هم من شرعوها و لا علاقة لهذه القوانين بمذهب أهل السنة و الجماعة و لا القرآن و إنما هي تطبيق لأوامر غربية بضرورة إخراج الأب من

حياة أولاده و جعل الرجل يعيش تحت حذاء المرأة أي أن يكون الرجل عبدا للمرأة كما هو موجود في الغرب.

....

....

و هذا ما لاحظه رفاعة الطهطاوي (ت 1290 هـ) في باريس فكتب في كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز , إذ قال:

- و الرجال في باريس عبيد النساء و تحت أمرهن سواء كن جميلات أم لا , قال بعضهم إن النساء عند الهمل معدات للذبح و عند بلاد المشرق كأمتعة البيوت و عند الإفرنج كالصغار المدلعين, و لا يظن الإفرنج بنسائهم سيئا أصلا مع أن هفواتهم كثيرة معهم, ... و من خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم و عدم غيرة رجالهم, ... و بالجملة فإن هذه المدينة مشحونة بكثير من الفواحش و البدع و الاختلالات .... و من عقائدهم القبيحة قولهم أن عقول حكمائهم و طبائعهم أعظم من عقول الأنبياء و أذكى منهم.

....

....

9 – و تظل قضية اللغة العربية التي تتعرض لأشد حرب ثقافية في التاريخ, فالمراد هو إزالتها من الوجود و إبادتها في كامل العالم العربي و خاصة المغرب العربي عبر نشر الأكاذيب و من هذه الأكاذيب التعريفات المزورة للعروبة التي تنشرها الجيوش الإلكترونية في وسائل الإعلام.

لذا فاعلموا و مهما قيل لكم أن كل من تكلم العربية فهو عربي , فالعروبة لسان و ليست نسبا أو تناسلا و اعلموا اللغة العربية هي أصل اللغات و كانت لغة نوح عليه السلام فمن تعرب من الأعجمين فقد عاد إلى أصله لغويا, و اعلموا أن أصلنا من آدم, فنحن بنو آدم و لا ننتمي لأحد آخر فلا يخدعنكم أحد بشيء آخر , فمن لم تكن له قبيلة فهو مسلم أولا ثم من بني آدم عليه السلام ثانيا.

و اعلموا أن ليبيا دولة عربية و سوف تظل إلى يوم القيامة قلعة من قلاع اللغة العربية فلا ترضوا بترسيم أي لغة أخرى معها داخل هذا الوطن فهم يريدون تغيير الهوية القومية لليبيا بالتكاثر اللغوي للغة أخرى داخل ليبيا لهذا يسعون إلى فرض تدريس لغة إحدى الأقليات اللغوية داخل ليبيا, فلغة القرآن الكريم لا شريك لها في بلادنا و لن نسمح بتغيير الهوية القومية لليبيا من دولة عربية إلى دولة متعددة اللغات و القوميات.

10 – النقطة الأخيرة و هي رسالة إلى الشباب و هو نصح, فاحذر أيها الشاب الليبي قبل أن تتزوج في هذه الأيام لأن المرأة في حال هربت منك فسوف تظل

تمصك طوال عمرك و لن تتخلص من مشاكلها و ستحرمك من أولادك و تحرب بيتك منك فتحرق قلبك و تدمرك نفسيا و تستنزفك ماليا , فأنت لن تستطيع التخلص منها أصلا في الحالين, سواء أطلقتها أم لا, فالنصيحة أن أُشرط كما يشرطون في العقد و شرطك هو أن تتنازل لك هي و أمها عن الحضانة لمدة خمسين عاما, و ثانيا لا تسكنها في بيت غالي الثمن أو في بيت أبيك لأن أمر التمكين في بيت الزوجية و هو أمر لصوصي و حرابي سوف يدمرك و يدمر والديك و أهلك, فأسكنها في بيت صغير بعيد في ضواحي طرابلس لا تزيد مساحته عن خمسين مترا لكي تأمن شرها إذا جمحت منك و النصيحة الثالثة هي أن لا تخبرها بأسرارك و خاصة أسرارك المالية و حاول أن تحتفظ بمالك خارج ليبيا لأن جماعة القانون الليبي سينهبونك نهبا في المحاكم فنحن بالنسبة لهم غنائم يجب تقاسمها و هم كتبوا هذا القانون لكيلا تنتهي المشاكل و لتستمر إلى الأبد و يستمر تدفق ملايين الدنانير إليهم شهريا, فالمجتمع الليبي هو بقرتهم الحلوب , و النصيحة الرابعة بخصوص أولادك , احذر من أن تخطفهم الجامح و تهرب بهم إلى بيت أبيها الديوث فتحرمك منهم لأن استعادتهم حينئذ صعبة.

....

....

....

الآن لديكم قضيتان للدفاع عنهما في ليبيا, الأسرة و اللغة العربية.

و هذا مفتتح و ليس لي سوى قلمي.

شعبان 1444 هـ.

الفصل الثاني و هو الأخير

موت الأب في العالم العربي

سألني الذي يحاورني أكثر من مرة:

- ما هي الأشياء التي لا قيمة لها في ليبيا؟

فأجبته بأنها ثلاثة و هم الأب و الكلب و الإفريقي.

و الأب أقلهم قيمة لأنه صار يُباع و لا يُراد و مَنْ ظل في البيت ظل بلا دور سوى دور كدور آلة الصرافة في الشارع.

و حين أجبته مرت في بالي عبارة أبي عبيدة معمر ابن المثنى التيمي (ت 209 هـ) إذ يقول :

- كان العرب العكاظيون لا يعدون من الشيء إلا ثلاثة ثم يكفون و لا يزيدون عليها شيئا.

و رغم وجود كثير من الأشياء التي يبدو للمرء أن لا قيمة لها في الحياة فإنني في كل مرة كنت أحاول فيها أن أصنف ثلاثة غير هذه الأشياء فإن الأب كان هو الحاضر الدائم في الثلاثة.

و زوال قيمة الأب في ليبيا و في العالم العربي عامة لم يحدث عرضا و لا صدفة و إنما هو ثمرة عقود من حرب ثقافية و إعلامية مستمرة إلى اليوم دأبت على تقديس الأم حتى صارت كصنم مقدس يحرق البخور تحت قدميه و هذا الأمر لوحظ في مراكز الاستشراق الغربية و منها مثلا مركز زويمر للدراسات الإسلامية (Zwemer center for muslim studies) إذ قيل في أحد مقالاته:

- إذا أردنا إحداث تأثير على المجتمعات المسلمة فيجب أن نركز على العجائز لأن الأم لها التأثير الأعظم على ابنها, فأكثر أمهات الزعماء و القادة هن من يؤثرن على سياسات و قرارات الدول في تلك المنطقة, لذا يجب التركيز على النساء في العالمين العربي و الإسلامي فالتغيير يبدأ من المرأة.

بينما تحول الأب خلال هذه الفترة تدريجيا إلى شيء أشبه بآلة الصرافة يدخل البيت و يخرج منه من دون أن ينبس بكلمة أو يلفظ صوتا إلا صوت خشخشة أوراق النقد التي يخرجها من جيبه ليعطيها لزوجته التي صارت هي " ربة الأسرة" الآمرة الناهية في البيت.

فمنذ أيام ما تُسمى بموجة الكفاح الأنثوي الثانية (second wave of feminism) التي قادتها المتعاونة مع المخابرات المركزية الأميركية و رائدة التيار الأنثوي في الغرب جلوريا شتاينم في الستينات (جلوريا شتاينم هي زوجة أبي

الممثل الأميركي المشهور كريستيان بال Christian Bale) و هجمات الصادق النيهوم في صحيفة الحقيقة على " الفقيه" و عمامته و على زنزانته التي سجن فيها المرأة منذ ألف سنة و كلامه عن "فضائح التراث العربي في القرون الوسطى" و عن أسوإ ماخور حضاري في التاريخ ألا و هو قرطاجة بزعمه و هي المدينة التي افترى أننا ورثنا عنها عاداتنا و تقاليدنا ظلت قيمة الأب تنقص تدريجيا حتى سُحقت بقانون الزواج و الطلاق من معمر القذافي و هو القانون رقم 10 لسنة 1984 م (1404 هـ) و الذي تقدم به لكي يحرر المرأة نهائيا من سلطان الرجل عليها أي رجل.

و قد بلغ الصادق النيهوم الذروة في احتقار الفقيه و أولياء الصوفية و شتم الرجل الليبي و مفهوم القبيلة بقوله:

- و محنة مواطننا أنه ظل ضحية نظم إقطاعية تركته في نهاية المطاف مجرد قزم أمي لا يملك في حوزته سوى قوة قبيلته و قوة مرابطه الميت وشنباته المحزنة التي يجلس لكي يفتلها في المقهى من باب إظهار رجولته إلى جانب ذكرياته عن ليلة الدخلة .... و إذا كان شيخ المحلة قد فقد عينيه

في موسم الجدري و لم يعد بوسعه رؤية قباب الأولياء المزروعة في ليبيا من أقصاها إلى أقصاها و زوايا الصوفيين البلهاء فإنه لا يزال قادرا على سماع دفوف الحضرة و صراخ الفقهاء لإخراج ملك جني كامل الهيئة من إصبع مواطن مسلم.

....

....

من الملاحظ في هذه الفقرة هو شدة هجوم التيار العلماني في الستينات على الصوفية و العادات الليبية القديمة بينما نراهم اليوم يمدحون الصوفية و " العادات الطرابلسية الزمنية"و يشجعونها في مواجهة التيارات السلفية , و هذه لعبة السياسة المعتادة و هي ضرب التيارات الفكرية و العقدية في المجتمع بعضها ببعض, و قد استعملها السادات في السبعينات لضرب الناصريين و الاشتراكيين باستخدام التيارات الإسلامية ثم استعملتها الولايات المتحدة لضرب الاتحاد السوفييتي في أفغانستان و مقاومة الشيوعية في العالم العربي باستخدام الجماعات الإسلامية المختلفة.

و يستخدمها بعضهم اليوم في بعض المسلسلات مثل ترجمان الأشواق و النار بالنار للمخرج السوري محمد عبد العزيز لمقاومة السلفية عبر الترويج للشيوعية و الصوفية داخل المسلسلين.

لذا يجب أن يعلم الصوفية أن التيارات العلمانية عدوة لكل مسلم سواء أكان سلفيا أم صوفيا أم الخ.

فلا تغرنكم أقاويل العلمانيين في العالم العربي أو منشورات محمود شمام كهف العلمانية في ليبيا أو غيره من العلمانيين الليبيين في مدح الصوفية و الخ.

فهذا الثناء مؤقت لحين التخلص من السلفية ثم سينقلبون عليكم بمثل ما قاله النيهوم فيكم ثم تصبح ليبيا ماخورا مثل تونس البورقيبية التي تعتبر من أكبر مراكز البغاء في المغرب العربي كله.

....

....

ثم إن الصادق النيهوم و كأي بائع خُرْدَوات في الشارع ظل يعرض بضاعته الثقافية على أرصفة جنيف تارة و على حجر معمر القذافي تارة أخرى في سبيل تحرير مخلوق اسمه المرأة و في سبيل وأد ظاهرة الفقيه و الخروج بالليبيين من قيد ما سماه بفضائح القرون الوسطى حتى تحقق له ما تمنى فتحررت المرأة الليبية و

خرجت من زنزانة الفقيه بيد القذافي و مات الفقيه قهرا في الزنزانة نفسها بعد أن سجنه القذافي بداخلها طيلة اثنتين و أربعين سنة ليخرج المجتمع الليبي من بعدُ من فضائح القرون الوسطى إلى " فضائح بنات السلطانة في القرن الحادي و العشرين".

ثم هلك النيهوم بالسرطان سنة 1415 هـ مخلفا وراءه إرثا من التناقض الثقافي و الفكري لا يصمد عند أول مصادمة مع الآخر, و لم ينتبه لموته أحد سوى سلحفاة بحرية مقلوبة على ظهرها منذ سنة 1389 هـ و هي التي حاول أن يصطادها ذات مرة مسعود الطبال بطل روايته "من مكة إلى هنا" لأن الجمهور الليبي خاصة و العربي عامة كان مشغولا بلعب لعبة أوراق الرومينو و بمشاهدة روماريو و بيبتو في كأس العالم و بمشاهدة غرندايزر و سندباد و كابتن ماجد و الحسناء عنابة و عدنان و لينا في قناة الجماهيرية و الكلب شحيبر في مسرحية " الواد سيد الشغال" و فيلم الإرهابي في أشرطة الفيديو.

و قُبِرَ النيهوم في بنغازي كأي كلب عقور عض صاحبه لا يساوي شيئا سوى ثمن السجائر التي قتلته و عذبته لسنتين قبل وفاته و لا يزال النيهوم إلى اليوم أيقونة مقدسة لدى أكياس و براميل الكناسة الذين ينتشرون في ترهات القضاء و الصحافة و الإعلام في ليبيا.

و بين التاريخين , أي من سنة 1379 هـ إلى 1415 هـ , كانت الدنيا قد تغيرت فسقط الإتحاد السوفييتي و زالت الكتلة الاشتراكية لتنحصر في كوبا و كوريا الشمالية و الصين و تمدد العالم الرأسمالي بكل عفونته ليشتمل على بولندا و شرق أوروبا و وُضع صدام حسين في قارورة صغيرة بداخل العراق و حوصر القذافي و فُككت يوغسلافيا و كادت " ظاهرة الأطباق الطائرة " أن تملأ فراغ " عدو الولايات المتحدة" حتى تقدم أسامة ابن لادن ليملأه, و عادت البرازيل للفوز بكأس العالم بقيادة روماريو و خرج مارادونا منها بتهمة تناول المخدرات.

و بعد أن ماتت ظاهرة " الفقيه " في ليبيا بتأثير لسعات النيهوم الأدبية و تحررت المرأة من زنزانته بالقانون رقم 10 للزواج و الطلاق من معمر القذافي (و هو قانون لا علاقة له بالقرءان و لا الشريعة) بدأ انطلاق المرأة الليبية ليكتمل اليوم بعدد قياسي لحالات الطلاق إذ يقول أحد القانونيين في ليبيا:

- فاعتبارا من سنة 1995 إلى سنة 2010 م بلغ عدد حالات الطلاق 32,988 و من سنة 2011 م إلى سنة 2019 م بلغ 36,868 حالة طلاق, و هو الأمر الذي يفرض على المعنيين بوضع تشريعات قضايا الأسرة النظر إلى الأسباب المتعددة التي أدت إلى ارتفاع حالات الطلاق.

ثم جاءت هذه السنة و هي سنة 1444 هـ لنرى احتضار الأب في العالم العربي و زوال قيمته بعد أن صار بفضل القوانين الوضعية ذبابة تدخل و تخرج من البيت فإذا أزعجت المرأة طردتها من البيت بالمبيد الحشري الذي يسمونه قوانين الزواج و الطلاق كما تفعل نساء مصر اللاتي حولن رجالها إلى أشباه رجال و ذكور نحل يُسْتَعْمَلونَ للتلقيح فقط , و كما تفعل المرأة الليبية التي صارت الزبونة المفضلة لزنادقة القضاء في المحاكم الليبية اليوم.

و من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي يحترق و يتعذب اليوم ملايين الرجال و تتمزق أسر من سبب هذه القوانين الملعونة التي تعطي النساء كل شيء و تخرج الأب من حياة أولاده و تحرمه منهم و تنزع ولايته عليهم فهي تعطي ما يسمونه بحق الحضانة للأم و بهذا الحق تستولي الهجالة على بيت الرجل و تحرمه من أولاده و تستنزفه طوال عمره ماديا و كأن الطلاق لم يقع و لم يفترق الزوجان , و إنما الأمر في حقيقته هو فك ارتباط من جانب واحد من جانب المرأة بتعضيد من المؤسسة القضائية العلمانية.

و هي قوانين لا علاقة لها بالقرءان أو "السنة" أو "الشريعة" أو حتى الفضيلة أو العدل و الإنصاف بل هي نسخ مترجمة من قوانين غربية أو مجرد إملاءات غربية لتدمير الأسرة و تمزيق النسيج الاجتماعي القديم في الوطن العربي تمهيدا لنشر القيم الليبرالية التي تبيح الزنى و فاحشة قوم لوط و تغيير جنس الإنسان من ذكر

إلى أنثى و من أنثى إلى ذكر و تجرم تعدد الزوجات و تدعو إلى مساواة المرأة بالرجل في كافة المجالات و صيطرتها عليه "باعتباره كائنا عنيفا غير حكيم".

و كل هذا العذاب الذي يتعذبه الرجل بعد الطلاق سببه شيء واحد (و هو سلاح العلمانية لتدمير مجتمعاتنا و إعادة تشكيلها) ألا و هو ما يسمونه بالحضانة و هم يعنون به حضانة الأم للأولاد و بهذه الحضانة تستولي المرأة إلى الأبد على الأولاد و المنزل و تظل تستنزف الرجل ماديا إلى حين وفاته.

....

و مصطلح الحضانة باختصار غير موجودة في القرآن الكريم بل إن مكان الأولاد مع أبيهم, فقد سمى اللهُ الأبَ في القرآن الكريم بالمولود له , و اللام للاستحقاق و الملك كما هو معلوم لطلاب النحو المبتدئين كما يقول سيبويه, أي أن الأولاد لأبيهم و هو الأحق بهم و ليسوا لغيره ثم إن مدة الرضاعة حولانِ لقوله تعالى في سياق آيات الطلاق في سورة البقرة :

- و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها.

ثم يخبر الله في حال حدث التعاسر بقوله في سورة الطلاق:

- و إن تعاسرتم فسترضع له أخرى.

أي إن حدث التعاسر فتعود الوالدة حينها إلى بيت أهلها و تترك الأولاد لأبيهم ليأتي بامرأة أخرى ترضع أولاده و إنما تتقدم الأم على غيرها من النساء للبقاء مع الأولاد طالما كانوا صغارا و طالما لم تعاسر الأب.

فإذا أسمينا البقاء مع الأولاد لرعايتهم في أحد المنازل بالحضانة , فالحضانة تكون في القرءان للصغير طالما لا يستطيع الأكل و الشرب لوحده و يجب أن تكون الحاضنة متفرغة للأطفال فلا تعمل.

نقول مرة أخرى أن الحضانة للمرأة غير العاملة و ليست للموظفة و لا يغير هذا الحكم ما صار في عالم اليوم من خروج المرأة للعمل و التسكع في الشوارع ليل نهار.

إذن خلصنا إلى أن الأولاد في القرءان لأبيهم و أن لا وجود للحضانة بل هي الرضاعة لعامين و في حال لم يحدث التعاسر فإن الوالدة هي أولى النساء للبقاء مع الأطفال في بيت يختاره الأب تحت هيمنته و سلطانه و ولايته الكاملة و يجب أن تكون الوالدة متفرغة للبقاء مع الأولاد فلا تعمل و لا تخرج من البيت.

و أما الحضانة في مذهب أصحاب الحديث (و أنا مُصِرٌّ على هذه التسمية ألا و هي أصحاب الحديث لأنه لا وجود في الحقيقة لشيء اسمه المذهب المالكي أو الشافعي أو الحنبلي بل إن كل هؤلاء لهم نفس الرأي في الحضانة و كلهم أبناء

مدرسة واحدة و خط واحد كما سترون) , فأقول و أما الحضانة في مذهب أصحاب الحديث و هم مالك و الشافعي و أحمد ابن حنبل فتنتهي عند سن السابعة و يُعْرَفُ ذلك من كتب أصحاب الحديث و مصادر مذهب أصحاب الحديث (و هو "مذهب التيارات السلفية " و بعض أهل السنة و الجماعة) هي موطأ مالك و كتاب الأم للشافعي و المسند لأحمد ابن حنبل.

ففي الموطإ لا يوجد سوى حديث واحد عن الحضانة , فقد جاء في الموطإ:

- و حدثني مالك عن يحي ابن سعيد أنه قال سمعتُ القاسم ابن محمد يقول كانت عند عمر ابن الخطاب امرأة من الأنصار فولدت له عاصم ابن عمر ثم إنه فارقها فجاء عمر قُباءً فوجد ابنه عاصما يلعب بفناء المسجد فأخذ بعضده فوضعه بين يديه على الدابة فأدركته جدة الغلام فنازعته إياه حتى أتيا أبا بكر الصديق فقال عمر ابني و قالت المرأة ابني, فقال أبو بكر خلِّ بينها و بينه. قال فما راجعه عمر بالكلام. قال و سمعتُ مالكا يقول و هذا الذي آخذ به في ذلك.

....

ملاحظة مهمة جدا, لا يوجد هذا الحديث أو غيره بخصوص الحضانة في بعض نسخ الموطإ.

....

و تحليل هذه المسألة باختصار , أن أولا هذا رأي أبي بكر الصديق و ليس حكم القرآن أو حكم رسول الله صلى الله عليه و سلم حسب كتب الحديث , فأكثر أحكام رسول الله صلى الله عليه و سلم في كتب الحديث أنه قام بالتخيير أو سلم الأولاد لرجال العصبة كما حدث في قصة ابنت حمزة.

و ثانيا يجب أن نعرف عناصر من هذه المسألة و منها عاصم ابن عمر ابن الخطاب و فترة حكم أبي بكر الصديق ثم نربط الاثنين بالقرءان و ببقية ما جاء من الشافعي و أحمد و خاصة الشافعي لأن الشافعي هو تلميذ مالك و هو الذي ورث علمه و زاد عليه و فاقه فيه و كل هذا سأقصه عليكم باختصار و وضوح لكيلا أطيل عليكم.

فأما عاصم ابن عمر ابن الخطاب فقد وُلِدَ في حياة النبيء صلى الله عليه و سلم, و أمه ابنةٌ لثابت ابن أبي الأقلح و تزوجها عمر ابن الخطاب في سنة سبع من الهجرة فولدت له عاصما و على هذا يكون مولد عاصم سنة ثمان من الهجرة (كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر , ت 463 هـ).

و منكم بلا ريب مَنْ يعلم أن مدة خلافة أبي بكر الصديق كانت سنتين تقريبا و هما بعض من سنة 11 و سنة 12 كلها و بعض من سنة 13 هـ , فهي بقول ابن كثير (ت 774 هـ) في البداية و النهاية :

- فكانت خلافة الصديق سنتين و ثلاثة أشهر.

فتكون سن عاصم حين تخاصم عمر و جدة عاصم من ثلاث إلى خمس سنوات و احفظوا هذا جيدا.

أي أن عاصما كان أصغر من سبع سنين و هي سن تخيير الذكور و هذا ما قصد إليه مالك.

فهذا ما جاء في إحدى نسخ موطإ مالك و لم يقل مالكٌ غيرَ هذا, و لكي نفهم مالكا فيلزمنا أن نستمر إلى تلميذه الشافعي.

ولد محمد ابن إدريس الشافعي في عسقلان سنة 150 هجرية ثم لحق بعصبته أهل أبيه في مكة و توفي في مصر سنة 204 هجرية و حفظ موطأ مالك و عرضه عليه و روى عن مالك بكثرة فهو تلميذه , يقول الشافعي :

- ولدت بعسقلان فلما أتى عليَّ سنتان حملتني أمي إلى مكة و كانت نهمتي في شيئين, في الرمي و طلب العلم, فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرةٍ عشرةً.

و سكت الشافعي فقال له عمرو ابن سواد:

- أنت و الله في العلم أكثر منك في الرمي.

و قال إسحاق ابن راهويه :

- أخذ أحمد ابن حنبل بيدي و قال تعال أذهب بك إلى من لم ترَ عيناك مثله فذهب بي إلى الشافعي.

و قال الشافعي :

- حفظت القرآن و أنا ابن سبع سنين و حفظت الموطأ و أنا ابن عشر سنين و أتيت مالكا و أنا ابن ثلاث عشرة سنة و كان ابن عم لي والي المدينة فكلم مالكا فأتيته فقال اطلب من يقرأ لك فقلت أنا أقرأ, فقرأت عليه, فكان ربما قال لي لشيء مَرَّ أعده فأعيده حفظا و كأنه أعجبه, ثم سألته عن مسألة فأجابني ثم أخرى فقال أنت تحب أن تكون قاضيا.

فهذا هو الشافعي و هذا مكانه من مالك فكيف يتقدم عليه من لم يرَ مالكا و كيف يؤخذ قول البعيد في الحضانة مثل سحنون التنوخي و مدونته الضعيفة و يرمى قول القريب و التلميذ ألا و هو الشافعي.

و المدونة الكبرى التي تُنسب لسحنون من أضعف الكتب و عنها يقول الذهبي (ت 748 هـ) :

- و أصل المدونة أسئلة سألها أسد ابن الفرات لابن القاسم فلما ارتحل سحنون بها عرضها على ابن القاسم فأصلح فيها كثيرا و أسقط , ثم رتبها سحنون و بوبها و احتج لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته مع أن فيها أشياء لا ينهض دليلها بل هي رأي محض , و حكوا أن سحنون في أواخر الأمر عَلَّمَ عليها و هم بإسقاطها و تهذيب المدونة فأدركته المنية رحمه الله.

فالمدونة كما قرأتم ضعيفة الأدلة و عمل غير مكتمل فكيف تكون دليلا على مسألة مهمة مثل الحضانة مع مخالفتها الصريحة للقرءان الكريم و كتب الحديث التي يتحاكم إليها أهل السنة و الجماعة.

و قول الشافعي في الحضانة و مدتها هو تفصيل القول المقتضب من مالك فيها, إذ يقول الشافعي في كتاب الأم :

- إذا افترق الأبوان و هما في قرية واحدة فالأم أحق بولدها ما لم تتزوج و ما كانوا صغارا, فإذا بلغ أحدهم سبعا أو ثماني سنين و هو يعقل خُيِّرَ بين أبيه و أمه و كان عند أيهما اختار, فإن اختار أمه فعلى أبيه نفقته

و لا يُمنعُ من تأديبه , و سواء في ذلك الذكر و الأنثى (يعني بقاء الولد قبل السابعة مع الأم) , و يخرج الغلام إلى الكتاب و الصناعة إن كان من أهلها و يأوي عند أمه و على أبيه نفقته و إن اختار أباه فلم يكن لأبيه منعه من أن يأتي أمه و تأتيه في الأيام.

ثم نصل إلى فقرة مهمة في كلام الشافعي إذ يقول :

- و إن كانت جارية لم تُمْنَعْ أُمُّها من أن تأتيها و لا أعلم على أبيها إخراجها إليها إلا من مرض فيؤمر بإخراجها عائدةً.

إذن حكم الذكر غير حكم الأنثى حين بلوغ السابعة لدى الشافعي و مالك من قبله.

فالذكر حين يبلغ السابعة يخير أي تُتْرَكُ له حرية التنقل بين أمه و أبيه, فمرة يكون عند أمه و مرة يكون عند أبيه حسب رغبته و حسب غيابه عنهما.

و أما الأنثى فهي عند أبيها لا تخرج من بيته و لا تُمنع الأم من زيارتها.

و رأي مالك مثل رأي الشافعي لأن قول مالك " و هذا الذي آخذ به في ذلك " يختص بعاصم ابن عمر ابن الخطاب و كان عاصم في القضية يبلغ من العمر من ثلاث إلى خمس سنوات فهو لم يصل إلى سن التخيير.

و عاصم ذكر و ليس أنثى.

و الشافعي درس عند مالك منذ طفولته فهو أعلم بمالك من سحنون و غيره.

و يقول الشافعي :

- و إذا أراد الأب الانتقال عن البلد الذي نكح به المرأة فهو أحق بالولد مرضعا كان أو كبيرا أو كيفما كان و كذلك قرابة الأب و إن بعدت, و العصبة إذا افترقت الدار أولى.

لنقف ههنا قليلا حتى نحفظ جيدا.

مختصر الحضانة عند مالك و الشافعي هو أنها تنتهي حين السابعة و حينئذ يخير الذكر و يُتْرَكُ حسب رغبته بين الأم و الأب فمرة عند أمه و مرة عند أبيه إلا إذا تزوجت أمه فحينئذ يكون عند أبيه بلا تخيير.

و أما الأنثى التي بلغت السابعة فهي عند أبيها بلا تخيير و لا تُمنع الأم من زيارتها.

و أما الحضانة عند الحنابلة فيختصرها لنا الخرقي (ت 334 هـ) في مختصره إذ يقول :

- و الأم أحق بكفالة الطفل و المعتوه إذا طلقت, فإذا بلغ الغلام سبع سنين خير بين أبويه فكان مع من اختار منهما فإذا بلغت الجارية سبع سنين فالأب أحق بها.

إذن يكون الأمر حين بلوغ الطفل السابعة هو التخيير للذكر أي أن يُترك حسب رغبته و أما الأنثى فهي عند أبيها بلا تخيير, فلا يوجد أي اختلاف بين مالك و الشافعي و أحمد, و أي اختلاف فمرده إلى اختلاف شخوص القضايا و يتعلق بحالات خاصة لا يجوز بناء الحكم عليها.

فهذا هو مذهب أصحاب الحديث و هم فرقة من فرق أهل السنة و الجماعة.

بقيت لدينا ثلاث فرق من فرق أهل السنة و الجماعة و هن مذهب البخاري و مذهب أبي حنيفة و الأشاعرة.

فأما الحضانة عند محمد ابن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) فهي للرجال بلا خلاف, فإذا تساوت مكانتهم تم الترجيح بقرابة النساء, جاء في صحيح البخاري :

- حدثنا عبيد الله ابن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال اعتمر النبيء صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم

بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا لا نقر بها فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك لكن أنت محمد ابن عبد الله قال أنا رسول الله و أنا محمد ابن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب و أن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه و أن لا يمنع أحدا من أصحابه أراد أن يقيم بها فلما دخلها و مضى الأجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل , فخرج النبيء صلى الله عليه و سلم فتبعتهم ابنة حمزة يا عم يا عم , فتناولها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام دونك ابنة عمك , فحملتها، فاختصم فيها علي و زيد و جعفر , فقال علي أنا أحق بها و هي ابنة عمي و قال جعفر ابنة عمي و خالتها تحتي, و قال زيد ابنة أخي , فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها و قال الخالة بمنزلة الأم و قال لعلي أنت مني و أنا منك و قال لجعفر أشبهت خلقي و خلقي و قال لزيد أنت أخونا و مولانا.

فالذين اختصموا فيها و تقدموا للحضانة كانوا رجالا و هم علي و جعفر و زيد, فلما تساووا في المكانة و القرب تم التفاضل بين النساء و كانت خالتها هي

الأقرب إلى ابنت حمزة من بين نساء الثلاثة فهي أخت أمها لهذا قال إنها بمنزلة الأم, فهي بمنزلة الأم من بين النساء الثلاث, و لو كان عمها العباس ابن عبد المطلب حاضرا أو تقدم لحكم له بها و لو كانت صفية عمتها موجودة و تقدمت لحكم لها بها ,فالعصبة هم الأولى بالولد عند البخاري.

و هؤلاء الثلاثة و هم علي و جعفر و زيد ليسوا آباءها.

فأبوها حمزة كان ميتا فكيف لو كان حيا, إذن حينها لن تكون هنالك قضية حضانة أصلا و لن يتقدم أحد بل أبوها هو الأولى و الأحق.

فهذا هو سياق حديث البخاري و فهمه الصحيح.

و أما الحضانة عند الأحناف فيقول القدوري ت 428 هـ في مختصره :

- و الأم و الجدة أحق بالغلام حتى يأكل وحده و يشرب و يلبس وحده و يستنجي وحده و بالجارية حتى تحيض.

و أما الأشاعرة فهم حنابلة فهم تبع لما قاله الخرقي في مسائل الفقه, يقول أبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) في كتابه الإبانة عن أصول الديانة :

- إن قولنا الذي نقول به و ديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز و جل و بسنة نبينا صلى الله عليه و آله و سلم و ما روي عن الصحابة

و التابعين و أئمة الحديث و نحن بذلك معتصمون و بما كان يقول به أبو عبد الله أحمد ابن محمد ابن حنبل نضر الله وجهه و رفع درجته و أجزل مثوبته قائلون و لمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل و الرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق و رفع به الضلال و أوضح به المنهاج.

إذن لنلخص الآن ما سبق قوله في مسألة الحضانة.

لا وجود لشيء اسمه الحضانة في القرءان بل الأولاد لأبيهم و هم معه و الرضاعة تكون لحولين و لا تمنع الأم من زيارة أولادها و لا يمنعون من زيارتها و إذا تركهم الأب مع أمهم فهذا برضاه و ليس رغم أنفه و لأنها الأولى من بقية النساء للبقاء معهم فإذا عاسرت الأب فلا بقاء لها معهم.

و أما الحضانة عند أهل السنة و الجماعة فهي على آراء.

رأي أصحاب الحديث و هم مالك و الشافعي و أحمد ابن حنبل أنها تنتهي حين السابعة و حينها يترك الاختيار للذكر فهو يتنقل بين أبيه و أمه , و أما الأنثى فهي عند أبيها بلا تخيير و لا تمنع الأم من زيارتها متى شاءت.

و يشاركهم في هذا الرأي الأشاعرة.

و أما ترتيب الحضانة لمن هو دون السابعة فهي للأم بلا خلاف بينهم ثم اختلف الفقهاء في تقديم نساء العصبة أو النساء من جهة الأم و الصواب مع من قدم نساء العصبة لأن الأولاد لأبيهم في القرءان و من ينكر أو يضاد هذا فهو كافر خارج من ملة الإسلام كلها و محارب لله و رسوله , و الاحتجاج بقضية عاصم ابن عمر ابن الخطاب ضعيف لأن الجدة أم عمر ابن الخطاب لم تكن حاضرة و لم تتقدم امرأة من نساء العصبة العمرية .

و أما الحضانة عند البخاري فهي للأب ثم للرجال العصبة بلا خلاف, فإذا استوت مكانة الرجال الذين تقدموا للحضانة تم الترجيح بقرابة النساء.

و أما الحضانة عند أصحاب أبي حنيفة النعمان ابن ثابت فتنتهي للذكر حين استغنائه عن خدمة النساء و تنتهي للأنثى حين تحيض أي بين 8 إلى 13 سنة , لذا اتفق الأحناف على أن حضانة الأنثى تنتهي حين التاسعة.

و للأب و الأم الحق في رؤية الأولاد متى شاء أي منهما و لا يمنع أحدهما من ذلك, و لا يوجد في الإسلام شيء اسمه إذن زيارة من القاضي فلا علاقة للقاضي بالولاية على الأولاد و لا رؤية الأولاد.

و إنما مهمة القاضي فصل التخاصم و تهدئة الخواطر و توضيح الحدود و الحقوق للطرفين و لا يستطيع القاضي تطليق المرأة رغم أنف الزوج, فالطلاق بيد الزوج

وحده و جعل الله الفداء مخرجا للمرأة, فلا يوجد خلع في دين الله و لا طلاق بيد المرأة أو القاضي و كل طلاق كان بيد القاضي فهو باطل.

و للأب قوة المنع و أخذ الأولاد من الأم إذا رأى أنها هي أو أهلها يفسدون أولاده عليه و يعلمونهم كره أبيهم و عصبتهم.

إذن الحضانة في مذاهب أهل السنة و الجماعة تنتهي حين السابعة و حينها يُتْرَك الذكر لاختياره بين أمه و أبيه فمرة عند أمه و مرة عند أبيه و أما الأنثى فهي عند الأب بلا تخيير لأنها عرضه و شرفه , و الأب و العم و الأخ و العصبة هم حماة العرض و الشرف لكن القضاء الليبي و القضاء العلماني العربي عامة لا شرف و لا غيرة عندهم بل هم أهل دياثة و رشوة لا يعرفون الأصول الكريمة و لا الأخلاق الطيبة لأنهم عملاء للعلمانية الغربية فهم ينفذون الأوامر الولائية التي تأتيهم من قلاع الزندقة في واشنطن و لندن و باريس , و كلهم يهمهم أن يصير أولادنا كاللقطاء الذين لا آباء لهم فتتفكك مجتمعاتنا العربية و تزول قيمنا الأسرية التي نعتز بها و ينتشر بيننا الزنى و فاحشة قوم لوط و كل الانحرافات الاجتماعية.

....

....

و أما الحضانة الأبدية للأم فهو قول الإباضية, فحكم الحضانة عند الإباضية هو :

- أن الأم أولى بالصبي و على الأب الأجر ما دام في حد الصغر إلى أن يعقل الخيار فحيث اختار, و الجارية أمها أولى بها إلى أن تبلغ و يزوجها أبوها إلا أن يُعلم أن الأم غير مأمونة فالأب حينئذ أولى بها.

....

....

أي أن المحاكم العربية و الليبية تحكم اليوم بأحكام المذهب الإباضي و ليس بأحكام أهل السنة و الجماعة.

ثم إن المحاكم الليبية لا تطبق أحكام الإباضية في الحضانة بل اتضح أنها نقلت جوهر القانون السويسري الذي يعاني منه الآباء في سويسرا إذ يقوم قضاة سويسرا بتحويل الأب إلى آلة صرافة مهمتها دفع المال و لا حق له إلا بالزيارة فقط بينما تأخذ المرأة أولاده منه و هذا بشهادة هيئة الإذاعة و التلفزيون السويسرية.

....

يقول موقع الإذاعة و التلفزيون السويسري بالحرف الواحد:

- في حالات الطلاق لا يزال دور الرجال مقتصرا على حافظة النقود.

....

أي أن القذافي قام بترجمة شبه حرفية لمقاصد و جوهر القانون السويسري للزواج و الطلاق و قام بفرضه على مجتمع عربي لقهر الرجال في ليبيا و كسرهم و لكي يظفر بلقب محرر المرأة.

و خمنوا من كان يعيش في سويسرا في سنة 1404 هـ (1984 م).

إنه المقبور الصادق النيهوم.

فهل كان للنيهوم دورٌ في صياغة القانون رقم 10 ؟

و في تلك السنة صدرت رواية النيهوم الحيوانات و فيها قيل عن الكلب في محاورة الذئب و الأسد بأنه " طماع و تابع و متردد و محب للظهور و تمكنت فيه عقدة الخفراء" (ألا تذكركم هذه الصفات بشيء)

ثم قال الذئب عن الكلب في فقرة مهمة :

- فلا أنت في الواقع تستغني عن الكلب و لا الكلب أيضا يستغني عنك, إنك تحتاج إليه لكي يحرس ما تملكه و هو يحتاج إليك لكي تملك ما يحرسه, هذا فحوى ما سمعته من ذئب الحكماء.

و هنا تكمن مفارقة سمعتها من أشرف تمام , و أشرف تمام إن كنتم لا تعلمون عنه شيئا كان رئيس مركز المعلومات و دعم اتخاذ القرار في رئاسة الوزراء في جمهورية مصر العربية , و لدى أشرف تمام قناة في اليوتيوب و هو رائد مقاومة قانون الزواج و الطلاق في مصر و هذا القانون دمر الأسرة المصرية و مزق النسيج الاجتماعي في مصر و جهود أشرف تمام عظيمة لإزالة الظلم عن رجال مصر لكنه ارتكب خطئا فادحا ذات مرة لما قال "أن الأطفال ملك للدولة المصرية".

هذا القول منه خطأ لكنه أصاب أمرا واقعا بغير قصد و نبه بعضا من الناس إلى أمر كان مخفيا عنهم بخصوص هذه القوانين التي تحرم الأب من أولاده ألا و هو أن أفراد المجتمع يُعْتَبَرونَ "عبيدا و ممتلكات" لدى الهيكل الإداري للدولة القائمة, و بما أن الدولة الحديثة ليست سوى مقاعد للحكم و قوانين وضعية تشكل الهوية العقدية و الاجتماعية للناس أي أنها آلة ضخمة مهمتها حفظ نظام حياة معين , و هي نتاج للاستعمار الغربي فإننا نستطيع أن نقول أن الأب ما هو إلا كلب حراسة في هذه الدولة الحديثة و آلة صرافة لغيره و هو الاستعمار الغربي و فكره العلماني و أجندته الخفية.

فالآباء في العالم العربي كلاب حارسة للرأسمالية الغربية المنتصرة في الحربينِ العالميتينِ الأولى و الثانية أي مجرد مسامير لحفظ الهيكلية الأمنية و السياسية و الاقتصادية للدول التي تركها الاستعمار الغربي خلفه لما رحل صوريا من العالم الثالث.

....

....

ثم إن الحرب الإعلامية على مكانة الرجل في المجتمع اشتدت مؤخرا سواء في وسائل التواصل الاجتماعي أو التلفزيونات عبر طوفان من الفيديوهات و المسلسلات و المقالات تقوم بغسيل دماغ للنشء العربي لتقديس المرأة و عبادتها.

و أبرز من يقوم بذلك في دراما رمضان هي رشا شربتجي و هي مخرجة سورية تزوجت رغم أنف أبيها ذات مرة و مرغت كرامته في المرحاض و هي تحظى اليوم بدعم خفي من مؤسسات مشبوهة لإنتاج مسلسلات تضع السم في شوكولاتة " السنكرز و الكِندر المحببة للأطفال" (لأن العسل سقطت موضته) و قد اجتاحت التلفزيونات العربية في رمضان لهذا العام بمسلسلينِ و هما الجزء الثالث من حارة القبة حيث لا تزال أم العز تقفز و تجري من زنقة إلى أخرى في مطاردة طبنجة حتى ظفرت به و ربطته في السرير ثم حلقت شاربه بينما أبو العز هو آخر من يعلم كما جرت العادة.

و مسلسلها الثاني هو مربى العز حيث يُفتتح المسلسل في حلقاته الأولى بمشهد دموي لأخ يرمي أخته من شرفة الطابق الثاني لتُطلى أرضية الدار بلون دمائها و أخته برأي رشا و المؤلف لم ترتكب جرما سوى أنها هربت برفقة رجل من قافلة

الحجيج , فهروب الفتاة برفقة رجل ليس جريمة لدى النسويات و أتباعهن من الذكور و هذا تسميم لعقول بناتكم فافهموا , كما سممت العقول في رمضان السابق بمسلسل "كسر عضم" حيث تحاول جاهدة برفقة المؤلف علي معين صالح أن تغير معاني الشرف و العار في قلوب الناس, فلا عار على الرجل إذا خرجت نساؤه من بيته و لا عار من هروبهن مع الرجال و لا عار إذا زنت المرأة و لا عار من إنجاب أولاد الحرام لأن جَمُّول كان يصرخ دائما في وجه مناع و فارس و زين " يا ولادين الحرام" ثم كان أن تكفلت " الكارما" بجمول لتقتله أبشع قتلة فيخرج نهائيا من المسلسل مفسحا المجال لأشرار آخرين و على رأسهم الرجل و شرف المرأة نفسه.

و حين قلت أن الكارما (karma) تكفلت بمقتل جمول فإنما أتكلم ههنا عن عقيدة رشا و علي معين صالح, لأني أظنهما زنديقين , و الله أعلم بهما مني, لأنه لا يمكن أن يكونا من المؤمنين بالله و اليوم الآخر رغم أني رأيت صور رشا و هي في مكة ذات مرة.

و في كل مسلسلات هذا العام كان حرص المؤلفين (و هم رجال) واضحا على إبراز صورة وحشية الرجل و قسوته و وصل هذا الأمر إلى ذروته في شخصية أبي نذير في مسلسل زقاق الجن الذي يلعب دوره أيمن زيدان فهذا هو الرجل برأي النسويات و أما المرأة فهي الكائن الحنون الرؤوف الحكيم الذكي الذي لا يخطئ ,

" فالأم هي زهرة البيت التي تتحمل و تصبر على وحشية زوجها و غبائه" , و لذا فيجب تحرير المرأة من سلطان الأب و الزوج و الأخ.

و بعيدا عن التقييم الفكري لمحتوى العمل الفني فالتقييم الفني ضروري لكي ننصف الفنانين الذين عملوا بجد لإخراج هذه الأعمال الرمضانية الرائعة فنيا (و ليس فكريا) التي ننتظرها من رمضان إلى رمضان.

و بما أننا في رمضان و المسلسلات لم تُخْتَتَم بعدُ فلن أعطي جائزة أفضل عمل فني الآن و لا جائزة أفضل مؤلف أو مخرج بل سيقتصر الأمر على الممثلين فقط و لا فرق عندي بين أبطال العمل و الأدوار الثانوية و لا ذكر و لا أنثى, فكل من أتقن دورا و إن كان صغيرا نال الجائزة.

و لم تجذبني الدراما المصرية لهذا العام , و الحق أنه لم يجذبني شيء منها منذ مسلسل نجيب زاهي زركش ليحيي الفخراني, و من أكبر الخسائر للدراما المصرية أن يبتعد يحيى الفخراني عنها لكل هذه المدة و الحق أن أزمتها تتمثل في التأليف, فمنذ وفاة أسامة أنور عكاشة ثم وحيد حامد و هي تعاني من ذبول ظاهر لا تخطئه العين.

و إنما تتصدر الدراما السورية المشهد كعادتها.

و أما المسلسلات التي أتابعها هذا العام فهي الجزء الثالث من حارة القبة و النار بالنار (و هو مسلسل سوري لبناني) و مربى العز و زقاق الجن و العربجي.

الجائزة الذهبية لأفضل ممثل تذهب لفراس إبراهيم في مسلسل حارة القبة.

الجائزة الفضية لأيمن زيدان في مسلسل زقاق الجن.

الجائزة البرونزية لسليمان رزق الذي مثل دور الابن الشخاخ في زقاق الجن و لأمل عرفة عن مسلسل مربى العز.

....

....

و إذا عدنا لمسألة إخراج الأب من حياة أسرته و تحرير المرأة من كل قيد فيجب أن تعرفوا أن هذا الأمر إملاء غربي و هو مفروض على كل دول العالم فرضا, فنفس هذا الشيء حدث في اليابان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1364 هـ.

فقد كانت الحضانة قبل الحرب العالمية الثانية للأب في اليابان و كانت المرأة بعد الطلاق تعود إلى عائلة أبيها (تشابه عجيب مع حكم القرءان و كأنه أثر من رجل مسلم ذهب إليهم في القرن الأول الهجري قبل ظهور المذاهب), و بعد

الحرب و كجزء من عملية كسر الرجل الياباني و إخصائه فُرِضَ على اليابان نظام الحضانة الأحادي, أي أن طرفا واحدا هو الذي يأخذ الأولاد, و أُوعِزَ من طرف خفي للقضاء الياباني بأن يقلل بمرور السنوات عدد الآباء الذين يحصلون على حق حضانة الأطفال تدريجيا ليعتاد المجتمع الياباني على إخراج الأب من حياة الأولاد و تحويله إلى كائن غريب عنهم من دون ردة فعل عنيفة من الرجال , (هي عملية أشبه بعملية ترويض الحيوانات و قد حدثت في العالم العربي أيضا) .

و الأهم من ذلك أن الأمر جزء من خطوات تهدف إلى إنهاء النظام الأبوي في العالم لإنهاء نظام الأسرة نفسه مستقبلا.

....

و قد نجحت الخطة الأميركية في اليابان.

فقد قَلَّت أعداد الآباء الذين كسبوا حق الحضانة في اليابان بين سنتي 1369 هـ إلى 1441 هـ , ففي سنة 1369 هـ كان أكثر من 50 % من أطفال قضايا الطلاق ينتهي بهم المطاف عند آبائهم.

ثم زاد عدد الأمهات اللاتي كسبن حق الحضانة تدريجيا بمرور السنين لتصل نسبة أطفال الطلاق الذين انتهى بهم الأمر في حضانة الأم إلى 85 % , أي أن الأب

الياباني خرج نهائيا اليوم من حياة أولاده و لا يسمح له برؤيتهم إلا نادرا و بصعوبة بالغة كما يحدث في ليبيا و مصر و بقية العالم العربي.

و هذا الأمر أثر على الحالة الأسرية المستقرة التي كانت تنعم بها اليابان.

فالآباء اليابانون مثل الآباء العرب يعيشون في عذاب كأنه جهنم من سبب حرمانهم من أولادهم , و هذه القسوة على الأب في اليابان و العالم العربي لا يضاهئها إلا قسوة المغول في القرن السابع الهجري و قسوة الإسبان إبان فتوحاتهم في العالم الغربي في القرن العاشر الهجري.

إذ يقول ياسو هوجيو و هو أحد الآباء المحرومين من أولادهم في اليابان:

- أكاد أختنق كلما رأيت أولادا في عمر ولدي الذي حرمتني زوجتي السابقة منه.

و قد شبه بعضهم وضع الأب الياباني بإنسان يتعذب في قدر ماء كبير يغلي على حطب مشتعل.

و تمزق الأسرة أَثَّرَ سلبا على أطفال اليابان كما تقول آليسون آلكس و هي مختصة في علم دراسة الإنسان (anthropology) .

أي أن اليابان كانت على موعد مع التخلف كعالمنا العربي لولا أن النهضة اليابانية اكتملت قبل انكسار الرجل الياباني.

فلا نهضة إلا بالرجال و طالما كسرت الرجال فلا نهضة و لا تقدم سيحدثان.

إذن, المخطط الغربي لإبقاء الصيطرة على الدنيا يقتضي بأن يتم سحق الأب في كل مكان, فالأمم تنهض و تقوى برجالها و ما دام الرجل مكسورا فالصيطرة الغربية قائمة بلا مقاومة.

....

....

ملاحظة, بلغت حالات الطلاق في اليابان 184 ألف حالة في سنة 1442 هـ.

....

....

يجب أن نعي أن العا لم العربي على شفا الانهيار في هذه الأيام, فعدد حالات الطلاق يزداد كل يوم, و الأسر العربية تتشظى و نسجينا الاجتماعي يتمزق و وصل الأمر إلى عمليات هروب جماعية للنساء و البنات في الخليج العربي و لم يُستثنى من هذا الأمر كبير و لا صغير, فحتى الحكام العرب احترقوا بانفلات المرأة

من قيد الأب و الزوج و الأخ و على رأس هؤلاء محمد ابن راشد آل مكتوم حاكم دبي.

ففي أول الأمر فرت ابنتاه لطيفة و شمسة ثم فرت زوجته الأميرة هيا ابنت الحسين ابن طلال ملك الأردن بولديه الجليلة و زيد.

فأما شمسة فقد هربت مع أصدقائها من عائلتها أثناء زيارتها للندن سنة 1420 هـ (في العطلة الصيفية) , و مرغت سمعة أبيها في التراب في شوارع كامبردج قبل أن يستخدم والدها القوة – باستخدام فرقة مسلحة– لأخذها من أمام حانة للخمور في المدينة ثم نُقِلتْ إلى دبي و كانت شمسة في حالة سكر لما التقطها رجال أبيها من أمام الحانة.

كانت شمسة تبلغ من العمر تسعة عشر عاما يومئذ.

و كانت الفضيحة آنذاك بجلاجل, فقد اضطر محمد ابن راشد آل مكتوم حينئذ للحضور شخصيا (كما تقول جريدة الجارديان) لقيادة عملية البحث عن ابنته, و في أول الأمر لم يسفر البحث عن شيء إلا عن العثور على هاتف شمسة.

و تصف إحدى النساء الإنجليزيات شمسة بأنها " فتاة قوية مغرمة بالنمط الحياتي للفتيات في الغرب."

....

....

وكثير من الفتيات العربيات اليوم مغرمات بنمط الحياة الحديثة في الغرب و حلمهن مثل الفتيان أن يهاجرن و يعشن في الغرب, فالتعليم الغربي (و التعليم هو الخطوة الأولى في عالم الثقافة) هو أول خطوة نحو انفلات الأنثى من قيد الأسرة و الأخلاق , وكانت شرور التعليم الغربي هي السبب لنشوء جماعة بوكو حرام في نيجيريا إذ أن معنى كلمة بوكو حرام هو " التعليم" أو الثقافة الغربية حرام , و قد كانت جماعة بوكو حرام جماعة سلمية في أول الأمر إلا أن الحكومة النيجيرية تعاملت معها بعنف في سنة 1429 هـ و قتلت من أفرادها ألف رجل تقريبا فآل أمرها إلى ما ترونه اليوم.

....

و بعد سنتين من حادثة شمسة حاولت لطيفة الهرب إلا أنها محاولتها فشلت حيث قُبض عليها عند الحدود العمانية و اضطر والدها حينئذ لسجنها لثلاث سنوات و أربعة أشهر.

فهل تعلمت لطيفة الدرس أو عادت لرشدها؟

الجواب أن لا.

لقد عادت لتخطط للهرب مرة أخرى و استغرقت خطتها الفاشلة هذه المرة اثنتي عشرة سنة حتى بدأت تنفيذها سنة 1439 هـ إذ فرت هذه المرة برفقة غربيين تجاه سلطنة عمان حيث ركبت يختا أبحر بها لأيام نحو الهند إلا أن الهنود قبضوا عليها و سلموها لوالدها.

....

....

ثم جاءت الضربة الثالثة على محمد ابن راشد آل مكتوم حين فرت الأميرة هيا ابنت الحسين زوجته السابقة بولديه الجليلة و زيد سنة 1440 هـ, و في القصة قولان يجب أن يوضعا لكيلا نظلم أحدا منهما.

فأما القول الأول فهو ما قاله الصحفي أسامة فوزي رئيس تحرير جريدة عرب تايمز (كبسولة 07 في اليوتيوب):

- إن من أسباب هروب الأميرة هيا أنها اكتشفت معلومات صادمة فيما يتعلق بلطيفة ابنت محمد ابن راشد آل مكتوم, إذ أنه استغل علاقات هيا الدولية لتحسين صورته أمام وسائل الإعلام الغربية بعد أن أقنعها كاذبا أن ابنته لطيفة مريضة نفسيا, و أن محمدا كذب عليها في أشياء , ثم حُدّثت الأميرة هيا بأن لطيفة و شمسة محبوستان في قفصين في مزرعة

العوير , و قيل لها أن هذا المصير قد يكون مصير ابنتك الجليلة مستقبلا, و استطاعت هيا الدخول لمزرعة العوير و رأت الأقفاص و بداخلها حيوانات مفترسة و معتقلين سياسيين و بنات لمحمد ابن راشد بما فيهن لطيفة و بناء على ما سبق قررت هيا الفرار من دبي.

و أما القول الثاني فجاءت به صحيفة الديلي ميل الإنجليزية إذ قالت:

- أن الأميرة هيا فرت من دبي إلى المانيا ثم إلى لندن بعد أن اشتبه زوجها محمد ابن راشد آل مكتوم بعلاقتها بحارسها البريطاني راسيل فلاورز, و قد فرت الأميرة برفقة ولديهما الجليلة (عمرها 11 سنة) و زيد (عمره 7 سنوات), و الذي ساعدها على الفرار دبلوماسي ألماني و قد رفضت السلطات الألمانية طلبا من زوجها لاستعادتها و استعادة ولديه, ... و كانت الأميرة هيا قد رمت بنفسها في أحضان راسيل فلاورز بعد انهيار زواجها من محمد ابن راشد آل مكتوم.

و في لندن رفعت الأميرة هيا قضية ضد طليقها محمد ابن راشد آل مكتوم حاكم دبي.

و قد عُدْتُ إلى سجلات المحكمة العليا البريطانية- قسم الأسرة بتاريخ ربيع الأول 1441 هـ للاستئناس و محاولة التأكد, و قرأت و لاحظت عدة نقاط منها.

يقول تقرير القاضي:

1 – أن القضية بخصوص سلامة و رغد حياة كلٍّ من الجليلة ابنت محمد ابن راشد آل مكتوم و عمرها اليوم 12 سنة و أخيها زيد ابن محمد ابن راشد آل مكتوم و عمره اليوم سبع سنوات.

2 – أن الأميرة هيا ابنت الحسين هي " الزوجة الرسمية الثانية" لمحمد ابن راشد آل مكتوم حاكم دبي , و لحاكم دبي "زوجات غير رسميات أخريات" و قد رحلت الأميرة بولديهما الجليلة و زيد إلى إنجلترا في إبريل 2019 م و أعلنت أنها لن تعود إلى دبي و قد رفع حاكم دبي محمد ابن راشد آل مكتوم قضية لاستعادة ولديه الجليلة و زيد إلى الإمارات في مايو 2019 م.

3 – و كجزء من عملية تقييم الحقائق فإن قضيتي شمسة (38 سنة) و لطيفة (35 سنة) ستكونان محل نظر المحكمة.

4 – قام الأب و هو محمد ابن راشد آل مكتوم بخطف ابنته شمسة من بريطانيا سنة 2000 م ثم أجبر ابنته لطيفة على العودة إلى دبي مرتين , مرة في سنة 2002 م عند حدود عُمان و عذبها داخل سجن حسب قولها و مرة سنة 2018 م بعد "عملية مغاوير" قرب سواحل الهند ثم جردهما من حريتهما.

5 – و أن محمد ابن راشد آل مكتوم قام بحملة إرعاب و تخويف للأميرة هيا ابنت الحسين.

ثم تقول فقرة من تقرير المحكمة:

- أقامت الأميرة هيا في سنتي 2017 و 2018 م علاقة زنى بأحد حراسها و يبدو أن محمد ابن راشد آل مكتوم قد علم بهذا إلا أنه تغاضى عنه حتى سنة 2019 م حين حاولت هيا التدخل في قضيتي شمسة و لطيفة و هذا ما لم يرحب به محمد و بدأت حينها المشاكل بينهما حتى أهانها إهانة كبرى حين جردها من مكانتها الملكية ثم اتصل بها محمد في فبراير 2019 ليقول لها بأنه اكتشف بأنها تزنى مع حارسها البريطاني و كان قد طلقها من دون علمها في أول ذاك الشهر قبل المكالمة الهاتفية في اليوم السابع من فبراير و هو ذكرى وفاة أبيها ملك الأردن الحسين ابن طلال الهاشمي (توفي الحسين ابن طلال ابن عبد الله الهاشمي سنة 1419 هـ) لكي يزيد في إهانتها ثم هددها بوضعها في سجن العوير فقررت حينئذ أن تلجأ إلى إنجلترا.

لا تهمني التفاصيل كثيرا و إنما ما يهمني هو جوهر الموضوع و هو ما يقع حاليا في كل العالم العربي و هو مسألة انفلات النساء من سلطان الزوج و الأب و الأخ و بقية العصبة.

و بالنسبة لمحمد ابن راشد آل مكتوم فله كل الحق بأن يستعيد أولاده بأي طريقة كانت, فالجليلة جاوزت مدة حضانة الأنثى عند أصحاب الحديث إذ أنها تنتهي حين السابعة , و أما زيد فهو بين أبيه و أمه.

و أي خلاف آخر بينه و بين الأميرة هيا فحله يكون في الغرف المغلقة.

الذي لا يستطيع أن ينكره أحد هو أن عقد الأسرة العربية ينفرط , (و قد انفرط فعلا في تونس و مصر) و أن مجتمعاتنا تتفسخ بسبب حرية المرأة و حقوقها , و هروب البنات جماعيا ينتشر في الخليج العربي و هي "دول محافظة" , و أن ظاهرة هروب بعض السوريات من أزواجهن فور وصولهن ألمانيا تزداد يوما بعد يوم و أبرز قصة من تلكم القصص هي قصة فادي الحلواني الذي اضطرب عقله بعد أن فرت منه زوجته ثم حرمته من ابنته و اتهمته بأنه يتحرش بابنته شهوانيا فصار يخرج في التكتوك ليشتم الله و يلبس لباس النساء و الخ , و أن عدد حالات النشوز و الطلاق في ليبيا تزداد يوما بعد يوم مع انتشار موضة بين الفتيات ألا و هي الزواج حتى تنجب طفلا أو طفلين ثم تهرب بهما إلى بيت أبيها الديوث لتتحصن بداخله فتطلب الطلاق لأنها تعرف أن القانون الهمجي للزواج و الطلاق في ليبيا يعطي كل شيء للمرأة إذ يعطيها الأولاد و البيت تمكينا و المال, و يدخل الزوج بسبب هذه القوانين الغبية الهمجية في دوامة لا تنتهي بداخل المحاكم الليبية و يصاب بخسائر مالية كبيرة جدا من سبب الفساد المنتشر في القضاء الليبي.

إن عالمنا العربي يحترق و يتعفن و ينهار أمام أعيننا.

إننا في حرب أهلية حقيقية في العالم العربي و هذه المرة ليست الحرب بين جماعات مسلحة و تيارات معارضة و حكومات و جهاديين و الخ بل بين الرجل و المرأة.

الحرب هذه المرة بين أفراد الأسرة نفسها.

ثم تتفرع عن هذه الحرب بين الأب و الأم حروب أخرى بين الأولاد و العمومة و الخؤولة ثم سوف يؤول الحال إلى انهيار القبائل العربية و زوالها لأن بقاء القبيلة مرهون ببقاء رجالها و استمرار التماسك الاجتماعي بداخلها و هذا لا يستقيم طالما كانت الحضانة للأم لأن القبيلة نظام هرمي أبوي رجولي.

هذه هي الحقيقة.

و السبب هو المؤسسة القضائية الإجرامية العميلة للغرب التي تريد هدم المجتمع العربي المحافظ لإنشاء مجتمع علماني يؤمن بالقيم الغربية.

و أكبر كذبة لا يصدقها إلا غبي هي أننا مجتمعات تحكمها المذاهب و الخ من هذا الهراء بل يتم تصنيفنا إلى سنة و شيعة.

فحتى من يزعمون أنهم " شيعة آل البيت" و يتشدقون بهذه الكلمة في قنواتهم الفضائية لا يحكمهم مذهبهم في الحضانة.

فهذا هو حكم الحضانة عند الشيعة الاثني عشرية.

يقول الطوسي (ت420 هـ) في كتاب الاستبصار:

- ..عن أبي عبد الله عليه السلام قال " و الوالدات يرضعن أولادهن" , قال ما دام الولد في الرضاع فهو بين الأبوين بالسوية و إذا فُطِمَ فالأب أحق به من الأم فإذا مات الأب فالأم أحق به من العصبة فإن أَوجَدَ الأبُ من يرضعه بأربعة دراهم و قالت الأم لا أرضعه إلا بخمسة دراهم فإن له أن ينزعه منها إلا أن يكون ذلك خيرا له و أرفق به أن يتركه مع أمه.

فالحضانة عند الشيعة تنتهي أيضا بعد مدة و هي عامان.

فحال الشيعة في وجود مدة محددة للحضانة هو حال كل مذاهب أهل السنة و الجماعة و إن كان الاختلاف في طول المدة فقط.

إلا عند البخاري فالحضانة في مذهبه للأب و العصبة مباشرة.

إلا أن حكم المذاهب لا ينفذ و من العجيب بعد ذلك أن يتشدق متشدق بأن ليبيا و الإمارات السبعة و هي أبو ظبي و دبي و الشارقة و عجمان و أم القيوين و رأس الخيمة و الفجيرة دول سنية تتبع مذهب أصحاب الحديث و هم مالك و الشافعي و أحمد ابن حنبل و قد رأينا أن الحضانة في مذهب أصحاب الحديث تنتهي حين السابعة فأين هذا مما يحدث الآن؟

ثم يقال أن العراق دولة شيعية بينما لا تزال أحكام حزب البعث هي الحاكمة على عموم أهل العراق شيعة و سنة , بل إن إيران التي تزعم أنها الدولة المركزية للشيعة في العالم لا تنفذ حكم الحضانة في المذهب الاثني عشري.

فماذا بقي من أحكام المذاهب سوى حكم الضراط و ولوغ الكلب في الإناء و مس الأير و سؤر الهرة و الاستمناء في نهار رمضان.

فانتبهوا.

إن مذهبكم في الحضانة اليوم هو المذهب الأميركي الذي فرضته على اليابان.

أنتم بلا مذاهب في حقيقتكم فلا السنة سنة و لا الشيعة شيعة.

إن الظاهرة التي نراها اليوم في العالم العربي هي ظاهرة موت الأب و ولادة أسرة بأم فقط من دون أب, و سوف يقتصر دور الرجال مستقبلا على التلقيح فقط لإنتاج " ولادين الحرام" على رأي جمول.

فما هو العلاج لهذه الحرب الأهلية المدمرة.

العلاج واضح و بسيط ألا و هو أن يعاد تحكيم القرءان فتلغى ما تسمى بالحضانة إلا سنتي الرضاعة و تكون للأم الأولوية لرعاية الطفل إن كان عمره أقل من حولين ثم يعود لأبيه أو يبقى مع أمه بالاتفاق مع أبيه و إذنه و تحت إشرافه و هيمنته و ولايته.

أو أن تعطى الحضانة للأب ثم العصبة مباشرة كما في مذهب البخاري.

أو أن يتم تحديد انتهاء سن الحضانة بسبع سنوات كما في مذهب أصحاب الحديث, فيترك الذكر يتنقل بين أمه و أبيه فمرة هنا و مرة هنالك , و تعود الأنثى إلى أبيها.

أو تحدد سن الحضانة باستغناء الذكر عن خدمة النساء و ببلوغ الأنثى سن التاسعة و هذا حكم الأحناف.

ثم أن تكون الولاية الكاملة للأب على أسرته و تُمْنع المؤسسة القضائية من التدخل في الشئون الداخلية للأسرة كمسألة التعليم و إذن السفر و الخ , فالأب أعلم بمصلحة أولاده من القاضي و غيره.

و لا يوجد حلٌ خلا هذه الأشياء , و البديل هو استمرار انهيار المجتمعات العربية و انفلات النساء و الأولاد و التفسخ الاجتماعي و انتشار العار و الشنار و

الزنى و التنصير و الزندقة و كل أنواع الفواحش في ظل تغييب سلطان الأب و ولايته.

....

....

....

استيقظوا ... فقد انتقلت الحرب على الإسلام إلى بيوتنا.

رمضان 1444 هـ.

صدر:

	المؤلف	العنوان
كتاب	محمد جميلة	مأساة الأب في ليبيا و ظاهرة موت الأب في العالم العربي
رواية	محمد سكينة	الزنديق و المدخلي